
سيادة المطران بول هيندر (النيابة الرسولية لجنوب شبه الجزيرة العربية، الإمارات العربية المتحدة)

10.30 صباحاً - عرض النتائج في الجلسة العامة ومناقشة حصيلة حلقات العمل

11.45 صباحاً - **جلسة النقاش الرابعة الختامية**

المسيحية بين الشرق والغرب: الانعكاسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية

رئيس الجلسة: الدكتور ماتياس فوغت (مؤسسة الأعمال البابوية الرسولية ميسيو، آخن، ألمانيا)

المشاركون في طاولة الحوار:

الأستاذ الدكتور جورج تامر (جامعة إرلانغن-نورنبرغ، ألمانيا)

الأستاذ هارالد زورمان (المعهد العلمي التابع لمؤسسة الأعمال البابوية الرسولية ميسيو، آخن، ألمانيا)

سيادة المطران بول هيندر (النيابة الرسولية لجنوب شبه الجزيرة العربية، الإمارات العربية المتحدة)

نيافة الأنبا أنطونيوس عزيز مينا (الكنيسة القبطية الكاثوليكية، الجيزة، مصر)

1.00 ظهراً - كلمة الخلاصة ونهاية المؤتمر

اليوم الثالث: الجمعة 26 شباط/فبراير 2016

8.45 صباحاً - حلقات عمل قطرية حول وضع المسيحيين وكنائسهم

حلقة العمل 1: الأراضي المقدسة (إسرائيل والأردن وفلسطين)

الأب رفعت بدر (المدير العام للمركز الكاثوليكي للدراسات والإعلام، عمان، الاردن)

الدكتور وليد الشوملي (جامعة بيت لحم، فلسطين)

حلقة العمل 2: لبنان

الأستاذ شارل شرتوني (الجامعة اللبنانية، بيروت، لبنان)

الأب كرم رزق (جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان)

حلقة العمل 3: مصر

الدكتورة فيفيان ابراهيم (جامعة ميسيسيبي، الولايات المتحدة الأمريكية)

الأستاذة المساعدة إنجي هيو (جامعة شيكاغو، الولايات المتحدة الأمريكية)

السيد جرجس صالح (منسق الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مع كنائس الشرق الأوسط، القاهرة، مصر)

حلقة العمل 4: بلدان تعيش الحرب الأهلية (العراق وسوريا)

السيد غسان الشامي (إعلامي، قناة الميادين الفضائية، بيروت، لبنان)

الأب أمير ججي القس بطرس الدومينيكي (النائب الإقليمي عن العالم العربي، العراق)

حلقة العمل 5: بلدان الخليج

الأستاذ هلال خشان (الجامعة الأميركية في بيروت، لبنان)

الأستاذ جورج توماس (جامعة ولاية أريزونا، الولايات المتحدة الأميركية)

السيدة بربارة سليمان (مديرة المكتب البابوي القبطي الأرثوذكسي للمشروعات والعلاقات، القاهرة، مصر)

2.15 ظهرأ - عرض النتائج في الجلسة العامة ومناقشة حصيلة حلقات العمل

3.45 جلسة النقاش الثالثة

مسيحية متعددة المذاهب: الحوار والعلاقات بين الكنائس المسيحية في البلدان العربية

رئيس الجلسة: الأستاذ ديتريش يونغ (جامعة جنوب الدانمرك)

المشاركون في طاولة الحوار:

نيافة الكردينال ليوناردو ساندري (رئيس مجمع الكنائس الشرقية، روما، إيطاليا)

الأب ميشال جليخ (الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، لبنان)

الأستاذ المساعد ماريانو بارباتو (جامعة مونستر وجامعة باساو، ألمانيا)

الأستاذ أسعد الياس قطان (جامعة مونستر، ألمانيا)

اليوم الثاني: الخميس 25 شباط/فبراير 2016

9.00 صباحاً - جلسة النقاش الثانية

مشرّق متعدد الأديان: العلاقات بين اليهود والمسيحيين والمسلمين وأثر الاضطراب المحلي والإقليمي على التعايش المجتمعي
رئيس الجلسة: الدكتور توماس شيفلر (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، لبنان)

المشاركون في طاولة الحوار:

نيافة المطران نيقوديموس داؤد شرف (الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، الموصل وكردستان)
سيادة المطران وليم شوملي (النائب البطريركي لبطيركية اللاتين في القدس، فلسطين)
الأستاذ محمود أيوب (معهد هارتفورد اللاهوتي، الولايات المتحدة الأمريكية)

الأستاذ دايفيد توماس (جامعة برمنغهام، إنكلترا)

11.00 صباحاً - حلقات العمل الموضوعية

حلقة العمل 1: التوتّر بين الإدماج والإقصاء في حياة المسيحيين اليومية

نيافة رئيس الأساقفة شاهان سركيسيان (الكنيسة الرسولية الأرمنية، حلب، سوريا)

الدكتورة فيونا ماكألوم (جامعة ساينت أندروز، المملكة المتحدة)

حلقة العمل 2: التوتّر بين الاندماج وعدم الاندماج في العلاقات بين الكنيسة والدولة

الأستاذ أنطوان مسرة (الجامعة اللبنانية وجامعة القديس يوسف، بيروت، لبنان)

الأب فاضل سيداروس اليسوعي (الكنيسة القبطية الكاثوليكية، القاهرة، مصر)

حلقة العمل 3: التوتّر بين الذاتيات المسيحية الحديثة والدين الجمعي

7.30 مساءً - كلمة العشاء

معالي السيد ماسيمو داليمو (وزير خارجية إيطاليا سابقاً)

جدول أعمال المؤتمر

اليوم الأول: الأربعاء 24 شباط/فبراير 2016

3.30 عصراً - كلمة الترحيب والاستهلال الأولى يليها سيادة المطران لودفيك شيك (رئيس أساقفة بامبرغ ورئيس لجنة مؤتمر الأساقفة الألمان المعنية بالشؤون الكنسية الدولية)

3.45 عصراً - كلمة الترحيب والاستهلال يليها الأستاذ الدكتور شتيفان شتيتز (جامعة الجيش الألماني في ميونيخ، ألمانيا)

4.00 عصراً - كلمة الافتتاح الرئيسية

الأستاذ هاينر بيلفد (جامعة فريدرش-الكساندر إرلانغن-نورنبرغ، ألمانيا، والمقرر الخاص للأمم المتحدة عن حرية الدين والمعتقد)

4.45 عصراً - جلسة النقاش الأولى الافتتاحية

خمس سنوات على الانتفاضات العربية: تقييم حاصل وضع المسيحيين والكنائس المسيحية في المنطقة

رئيس الجلسة: الدكتور ميترا موسى نابو (جامعة الجيش الألماني في ميونيخ، ألمانيا)

المشاركون في طاولة الحوار:

غبطة البطريرك بشارة بطرس الراعي (بطريرك أنطاكية وسائر المشرق ورأس الكنيسة المارونية)

سيادة المتروبوليت إغناطيوس الحوشي (كنيسة أنطاكية الأرثوذكسية، أبرشية أوروبا الغربية والجنوبية، فرنسا)

السيد غسان الشامي (إعلامي، قناة الميادين الفضائية، بيروت، لبنان)

نيافة الأنبا بافلي (الأسقف العام للأقباط الأرثوذكس، المملكة المتحدة)

ويجب على أوروبا أيضاً أن ترفع صوتها وتتصرف تصرفاً أمضى قطعاً، كي تعرب عن تضامنها مع الناس مثلكم الذين يطالبون بحرية كونهم مسيحيين في هذه البقعة من العالم التي منها نشأت المسيحية.

إذ تخاطر الحوادث في منطقة، واقع الأمر، بإطلاق عنان توتراتٍ مستجدةٍ وفظيعةٍ. فالحكومة الإسرائيلية تقضي بمنهجية على أي إمكانية لتأسيس دولةٍ فلسطينيةٍ، عبر سياستها الاستيطانية وضّم القدس إليها بحكم الأمر الواقع.

وإن واصلت الأمور سيرها على المنوال نفسه، تضحي المخاطرة بالدخول في تصوّر مماثل لما حصل في جنوب أفريقيا، وذلك ما قد يدعو للتشكيك حتى في مجرد مبرر وجود دولةٍ يهوديةٍ في المنطقة ويغذي الشعور بالإحباط والكرهية ليس فقط عند الفلسطينيين بل في العالم العربي بأسره.

ويستثيرنا عدم تجاوب المجتمع المسيحي والكنيسة الكاثوليكية مع احتمال زيادة التوترات حول القدس.

إنّي أؤمن جازماً إن الحلّ المنصف للقضية الإسرائيلية-الفلسطينية قد يمهد السبيل لتعزيز حال أكثر مكوّنَي العالم الإسلامي اعتدالاً.

وينبغي أن يحظى ذلك المسعى بدعمٍ متكافئٍ على الصعد الثقافية والدينية واللاهوتية، بهدف الحيلولة دون العودة المؤكدة لتأويل القرآن حرفياً، وهو ما يحثّ على عدم التسامح ويثبّت التأويل السياقي لكتاب الإسلام المقدّس، بما يتماشى مع الأزمنة التي نعيش في كنفها.

وتشوب هذه المسألة حساسيةٌ شديدة طبعاً، إذ لا يجيز التقليد الإسلامي، على خلاف نظيريه المسيحي واليهودي، أعمال التأويل في نص القرآن. ولكن تؤيد مكوّنات مسلمة أخرى السعي لإسلامٍ إصلاحيّ أكثر انفتاحاً وتسامحاً.

ويجب برأيي أن ندعم نمو ذلك النحو من الإسلام المعتدل في أوروبا. وأنا أتحدّث هنا عن حوالي أربعين مليون مسلماً. ويرمي هذا المسعى إلى تخفيف شدة التواصل بين مواطنينا المسلمين والدعاة السلفيين الذين يفدون غالباً من بلدان أصلهم.

إن التحدي أمامنا طويلٌ وشاق. ويقع المسيحيون الذين يعيشون في الشرق الأوسط طبعاً على خطوط الجبهة، وهم من يخاطر أكثر من غيره.

ولتلك الأسباب جميعاً أؤمن أن رسالة البابا فرنسيس هي الأبلغ لكم ولنا جميعاً. إذ إن رسالته رسالة حوارٍ وتسامحٍ ومسكونيةٍ.

قد تكون هذه الحقيقة مقلقة، ولكن غالباً ما كانت الأقليات المسيحية تحظى بحماية أفضل في ظل الأنظمة السلطوية منها في ظلال الديمقراطيات المرتبكة وغير المستقرة التي ولدت من رحم مسيرة التحول الأخيرة.

ولكن لا يسعنا أن ننخرط في الأسف على الاستبداد أو في غمار الفكرة القائلة إن النتائج الأفضل للربيع العربي هو الانقلاب على الطريقة المصرية الذي يغامر عبر التعذيب والقمع والانتهاك المنهجي لحقوق الإنسان بتشجيع حيز لا بأس منه من الإخوان المسلمين على اعتناق الجهادية.

بل ولا بد أن نلقى أمراً وسطاً بين الاستبداد والأصولية غير السمة. وينبغي علينا العمل صابرين لكي نعرّز إنشاء النظام السياسي المنفتح الذي يحترم حقوق الإنسان ويصونها وبضمن حرية الدين.

ولا يسعنا في البلدان متعددة الأعراق والأديان، والتي لا يملك بعضها يقين الهوية القومية إذ نتجت حدودها غالباً عن هيمنة الاستعمار بالأحرى من صنع التاريخ، أن نسير وفق فكرة مبسطة للديمقراطية. ولا تجعل إطاحة تماثيل المستبدين والدعوة لعقد الانتخابات من الأنظمة الاستبدادية فوراً أنظمة ديمقراطية على النهج الأوروبي.

فليست الديمقراطية الأوروبية سوى نتيجة قرون من سيرورة التاريخ. إذ إنها شيدت بنيانها بعد النزاعات الدامية وبعد منتي سنة على الأقل من الحروب الدينية، والتي كانت ضارية كما نشهد اليوم من نزاعات تعيث في الشرق الأوسط دماراً.

وكان الشرط السابق لتأسيس الأنظمة الديمقراطية في أوروبا إرساء مبادئ التسامح والحرية الدينية. إذ ليست الديمقراطية بكل بساطة حكم الأغلبية، بل هي فوق كل شيء احترام الأقليات.

ولذلك السبب أنا لم أؤمن يوماً "باستيراد" نماذج الحكم من الخارج، بل بضرورة تعزيز المسارات ودعمها، وهي بطبيعة أمرها طويلة ومعقدة، وإنما هي الكفيلة بتحقيق تحول المجتمعات من لديها.

ولا شك يكمن الشرط السابق لنزع فتيل الخطر الدائم باندلاع النزاع بين الأديان التوحيدية الكبرى في تحري الحل للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني ولمسألة وضع القدس، وهي برأبي تمثل جوهر أزمة الشرق الأوسط.

الملحق:

كلمة العشاء الرئيسة

معالي السيد ماسيمو دالبا (وزير خارجية إيطاليا سابقاً)

حضرة السيّدات والسادة الأعزاء،

أودّ أن أشكر منظمتي هذا الحدث البليغ على كريم دعوتهم لشخصي. واعتقد أن هذا المؤتمر بليغ المغزى وسانح التوقيت، إذ يتصدّى لمسألة الحضور المسيحي في أحد أشدّ مناطق العالم اضطراباً. وبالأحرى أقول إنها الأشد اضطراباً بالمطلق. وهو حضورٌ نتلمّس أصوله في غابر الزمان، إذ كان الشرق الأوسط مهد المسيحية، أقلّه حتّى ما قرّر بولس أن يأسس في روما نواة الكنيسة المسيحية.

ويعود أصل النزاعات التي تمرّق بلدان الشرق الأوسط في معظم الأحوال إلى منشيّ وطني. ومع ذلك فهي اكتست معالم النزاعات الدينية. وألفى المسيحيّون أنفسهم مجدداً فريسة الاضطهاد المقيت، لا سيّما العنيف في تلك البلدان التي أخذت تشهد التحوّل الجذري، والذي انطلق منذ خمس سنوات مع ما يعرف بالربيع العربي، والذي صار الآن يأخذ طوابعاً أصوليّة.

ودعوني أروي لكم عن زيارتي إلى المستشفى الكاثوليكي² في دمشق عندما كنت وزيراً للخارجيّة. أتذكّر أنني حظيت آنذاك بفرصة لقاء عددٍ من ممثلي الرهبة الدينية الذين يُعَوّن بإدارة المستشفى. وأتذكر الكثيرين من المسيحيّين العراقيّين الذين كانوا هناك لأنهم وقعوا ضحية الاعتداءات العنيفة وأجبروا على مغادرة بلادهم.

وأتذكّر لا سيّما الكلمات النذيرة التي تبادلتها مع الراهبة التي تولّت إدارة المستشفى. إذ خاطبته بقسوة وقالت: «إن كان هذا هو ضرب الديمقراطية التي تودّون إحضارها إلى هنا، فغادروا، أرجوكم، اتركنا مع الأسد!»

2 ملاحظة المترجم: يعرف المستشفى في دمشق باسم الإيطالي أو الطلياني

المسيحيين من آسيا. واختتم المطران هيندر مداخلته بالتأكيد على أهمية تعاليم الإنجيل الحقيقية وعلى عدم الضياع في ذهنيّة المظلوميّة. إذ اختتم قائلاً:

«لا نجد في يسوع المسيح فقط الموت على الصليب، بل أيضاً القيامة ويكون ذلك جزءاً من تجربتنا الإيمانية الكاملة والمنكاملة.»

«نحتاج إلى تعددية الكنائس لأن الأجوبة قد لا تكون باليسيرة وقد تتباين، ولكنها جميعاً وجيهة ومقنعة. وينبغي على الكنائس أن تتحرّى إرثها لكي تقع على مكونات راهنة أو منسّية للحلول.»

وأما بالنسبة للشرق الأوسط فكان الأستاذ زورمان على قناعة بضرورة إعادة اكتشاف البعد الإرسالي وهوية الكنيسة للمستقبل، إذ لا مستقبل سوى للكنيسة التي تنفتح على المجتمع برمته. ويشتمل ذلك على تقديم الكنائس لأجوبتها ورؤاها ورعايتها لأولئك الذين لا ينتمون لتقليدها، مثل العمال المسيحيين المهاجرين في بلدان كثيرة وأولئك الذين ينتمون إلى التقاليد الدينية المختلفة.

وقدّم سيادة المطران العرض التالي. وكان شاكراً جداً لدعوته إلى المؤتمر إذ يعتقد كثيرون أن الكنيسة لم يكن لها حضور في منطقة الخليج. واستهلّ مداخلته بالحث على تنقية ذاكرتنا وإسعافها، إذ تلوّنت بنزاع الماضي. وأشار المطران هيندر إلى الحوار الشاق نوعاً ما بين الشرق والغرب، اللذان يتبادلان التهم بالمسؤولية عن عنف الماضي؛ فالمسلمون يشيرون إلى الحروب الصليبية في حين يبرز المسيحيون الاضطهادات في الماضي والحاضر. وتكتسي هذه الاتهامات المتبادلة مغزى تاريخي بالنسبة للمطران هيندر ولها ما يبرّرها. ولكنها غير ذات فائدة إن أردنا التفاهم والحوار الأفضل. ويكمن السبيل الوحيد لتذليل هذه المعضلة في تنقية ذاكرتنا من روايات الخصومة تلك.

وتتناول قضية انشغال أخرى في حديثه وهي العلاقة بين الشرق والغرب، وما يتصل بها من نواحي سوء الفهم الجغرافي. ولذلك وجه المطران هيندر نداءً لتوسيع المنظور الجغرافي لكلا الشرق والغرب، بالاشتغال على أميركا اللاتينية في الغرب من ناحية، وعلى كل شرق آسيا في الشرق من الأخرى. وكما بين المطران هيندر، تتجلى أهمية هذه النظرة الموسّعة في عمله الشخصي اليومي، إذ تتألف جماعة مؤمنيه الكنسية بالمقام الأول من العمال المهاجرين الذين يفدون من أصقاع مختلفة من شرق آسيا كالهند والفلبين وبنغلادش، إلخ. ويتمتع هذا المنظور الموسّع بفوائد عديدة حسب المطران هيندر، فبالنسبة للمسيحيين الأوروبيين إعادة اكتشاف هويتهم الدينية استناداً على هذه النظرة الموسّعة للشرق، وعلى سبيل المثال بهدف تكوين كنيسة جديدة في منطقة الخليج.

وأما بالنسبة للمسيحيين العرب، فينبغي عليهم الاعتراف بأن المسيحيين من مختلف أنحاء آسيا هم مسيحيون كاملوا المسيحية أيضاً وينبغي الاعتراف بهم كذلك. وأكد المطران هيندر على مقولته بإبراز الأحكام المسبقة السائدة في أوساط المسيحيين العرب على العمال المهاجرين

وركز المتحدث التالي الأستاذ هارالد زورمان كلمته على دور الجسر الذي يضطلع به الانتشار المسيحي الشرقي في الغرب. ولخص الأستاذ زورمان منظوره العام للمسيحيين الشرقيين كما يلي: «هم لا ينتمون إلى الأكثرية المسلمة في الشرق الأوسط مع أنهم عاشوا معها وتقاسموا ثقافتها منذ 1400 عاماً. بل للمسيحيين هوية دينية مختلفة. ولكثهم عرباً حسب النظرة الذاتية لعدد لا بأس به من المسيحيين، ويتشاطرون الهوية العرقية نفسها مع الأكثرية المسلمة؛ وحسب النظرة الذاتية للآخرين هم آراميون وأشوريون وأرمن، إلخ. ولا يتقاسمون الهوية العرقية ذاتها مع الأكثرية المسلمة.» وبين من وجهة النظر السياسية لم يثمر كفاح المسيحيين في الشرق الأوسط في تحقيق المساواة الفعلية مع الأغلبية. وليس أضعف أسباب ذلك اعتبار المسيحيين كثيراً طابوراً خامساً للغرب. وكثير منهم هاجر في الأزمنة الحديثة وخصوصاً في السنوات الأخيرة من الشرق الأوسط إلى الغرب، أي أوروبا، والأميركيتين وأستراليا. ولذلك ينبغي تقييم فكرة دور الجسر الذي يضطلع به المسيحيون مرةً أخرى عبر ذلك المنظور. ولكن أسهب الأستاذ زورمان مفصلاً أن المسيحيين الشرقيين في جاليات الانتشار الغربية ليسوا الجسر الوحيد الممكن مده الشرق الأوسط.

«يمكن للمسلمين الذين يفدون من الشرقيين الأدنى والأوسط أن يضطلعوا اليوم بأدوار أفضل جسوراً بين الشرق والغرب عندما يتكيفون إلى حدٍّ ما وأسلوب معيشة الغرب وقيمه، مع حفاظهم على هويتهم الدينية. إذ يفقد المسيحيون الشرقيون بهويتهم المسيحية وظيفتهم جسراً بين الشرق والغرب.»

ويطرح هذا الوضع أسئلةً مستجدةً بالنسبة للعلاقة بين الكنائس الشرقية في الغرب وكنائسها الأم في المنطقة. وكما بين الأستاذ زورمان، تناقض البطارقة الشرقيون وكنائسهم شأن هذه المسألة مثلاً في سينودس أساقفة الشرق الأوسط. وطلبوا الإبقاء على صلة الرحم مع الكنائس الأم وعلى التقاليد في الغرب. وطلبوا أيضاً الدعم المالي للكنائس الأم والإبقاء على موطئ قدم في بلدان أصلهم عبر الامتناع عن بيع أراضيهم وبيوتهم. وعلاوةً على ذلك إذ يهدد الاندماج الديني مع الأكثرية بإلغاء الكنائس الشرقية، طالب البطاركة والأساقفة الكاثوليكيون الكنيسة اللاتينية باتخاذ بعض التدابير للحفاظ على هوية مريدبهم الشرقية. ومع ذلك يعتبر الأستاذ زورمان أن «الهوية العرقية-الثقافية لا تضمن بقاء الكنيسة الشرقية؛ إذ قد تضمحل لتقتصر على المكون الفلكلوري.» وتكمن العقبة الأكبر أيضاً تحضيراً لدرب المستقبل في المنهج التي يتمسك عبره المسيحيون وكنائسهم بهويتهم وتقاليدهم. ولكن لا يعني ذلك بالنسبة له الاستغناء عن كنائس عديدة. بل على العكس،

الثاني، فهو التشديد على ضرورة محافظة المسيحيين العرب على دورهم الثقافي الفعّال في إطار اللغة العربية وما ينتج فيها من ثقافة وفكر ولاهوت وعبادة.

وشرع في مداخلته بالتفكير في موضوع جلسة النقاش وطرح السؤال:

«لماذا تُوضع هذه المسيحية في موضع "البين"؟ فإن أخذنا القول حرفياً، كانت لا شرقية ولا غربية، بل في اللامكان. (...) موقع "البين" هذا لا يتفق وكون المسيحيين قلب الشرق، وكون المسيحية شرقية، قبل أن تصل إلى الغرب.»

واليوم صارت المسيحية ليست بين الشرق والغرب، بل في الشرق والغرب، على حد سواء. وبناء على هذه الفكرة أحال الأستاذ تامر إلى النزاعات الراهنة في الشرق الأوسط ميرزاً آثارها السلبية على المسيحيين والمسلمين سواسية. إذ يكمن السبب الرئيس للنزاعات التي تجتاح المنطقة في الخصومة الإيرانية-السعودية وصراعهما على الهيمنة على الشرق الأوسط. ويسود الفكر الإقصائي والتكفيري في هذا النزاع وفق الأستاذ تامر. وفي وسط هذا التحدي، يرى دوراً مهماً للمسيحيين في الشرق والغرب، ألا وهو أن يشتركوا في حوار جدّي والمسلمين أصحاب الفكر التنويري التحديثي، وأن يدعموا صادقين النبضات العقلانية الموجودة في الخطاب الديني الإسلامي، لعلها تتغلب على الفكر الظلامي المهيمن في الوقت الراهن. ولذلك كان على المسيحيين الشرقيين ألا ينكفئوا حضارياً وثقافياً وعلمياً. وعلى المسيحيين حسب الدكتور تامر أن يواصلوا إرثهم التاريخي الذي يعود إلى الحقبة الأموية. إذ بعد أن طردوا من وظائفهم في الدولة الأموية، انصرفوا إلى تعريب العلوم والفلسفة من اليونانية والسريانية، فكان نشاطهم الإبداعي المحرّك الذي ساهم في خلق الحضارة الإسلامية الوسيطة، كما بيّن الأستاذ تامر. ولذلك مضى شارحاً:

«ليست الحروب بلا نهاية. (...) رسالة المسيحيين في الشرق أن يصمدوا ويكونوا الخمير الذي يخمر عجين مجتمعاتهم كله، ثقافياً وسياسياً واقتصادياً. أما المسيحيون في الغرب، وخاصة في أوروبا، فواجبهم أن يدعموه في ذلك، ليس فقط من باب التضامن المصيري مع إخوتهم في الإيمان. الوجود المسيحي في الشرق إرث حضاري عالمي، (...) والحفاظ على الوجود المسيحي في الشرق مسؤولية المسلمين على تعدد مذاهبهم، بشكل خاص. هذا يجب أن يترجم بشكل عملي، على سبيل المثال، بالحفاظ على مراكز المسيحيين في الدولة، وإعطائهم الطمأنينة التي يحتاجون إليها، في الزمن الراهن. والأهم من ذلك، هو تطوير فكر ديني إسلامي حداثي، يقبل الآخر كما هو، ولا يقسم المجتمع إلى مجموعات مذهبية وإثنية، تحظى من بينها الأكثرية العديدة بالحقوق، وتعاني الأقليات من الظلم.»

6. جلسة النقاش الرابعة الختامية: المسيحية بين الشرق والغرب: الانعكاسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية

رئيس الجلسة: الدكتور ماتيئاس فوغت (مؤسسة الأعمال البابوية الرسولية ميسيو، آخن، ألمانيا)

المشاركون في طاولة الحوار:

سيادة المطران بول هيندر (النيابة الرسولية لجنوب شبه الجزيرة العربية، الإمارات العربية المتحدة)

نيافة الأنبا أنطونيوس عزيز مينا (الكنيسة القبطية الكاثوليكية، الجيزة، مصر)

الأستاذ الدكتور جورج تامر (جامعة إرلانغن-نورنبرغ، ألمانيا)

الأستاذ هارالد زورمان (المعهد العلمي التابع لمؤسسة الأعمال البابوية الرسولية ميسيو، آخن، ألمانيا)

شرع رئيس الجلسة الختامية الدكتور ماتيئاس فوغت تمهيده بالإشارة إلى المتحدثين السالفين الذين ركزوا في مداخلاتهم على مختلف الوقائع المعاشة لدى مختلف الجماعات المسيحية المقيمة في الشرق الأوسط. وأكد على أن التركيبة السكانية عامّةً بمعزل عن الجماعات المسيحية القديمة في المنطقة وانتشارها في المهجر تشهد تغييراً دائماً ولأسباب ليس أضعفها الاضطرابات التي تجتاحه. ولذلك تكوّن جماعات اللاجئين الهاربين من سوريا والمهاجرين مثل المسيحيين المقيمين في الخليج جزءاً من واقعٍ مستجد للحياة المسيحية في الشرق الأوسط.

وبادر الأستاذ جورج تامر، الباحث المعروف في شؤون فقه اللغة الشرقي والدراسات الإسلامية، بتناول الكلمة بعد هذه الملاحظات الاستهلالية. واختار أن يخاطب الحضور باللغة العربية، تشديداً على أمرين: أولهما، التزامه الشخصي والأكاديمي الثابت بالحفاظ على اللغة العربية لغةً تعددية، ليست حكرًا على دين واحد، بل تتسع لكل الجماعات الناطقة بها. أما الأمر

تبرز قدراً كبيراً من الركود والخلل.» وأما الأزمة الثانية فقال عنها الدكتور قطان إن القادة الكنسيين ما زالوا عاجزين عن تنفيذ التعاون الخالص في مكافحة شبّح الهجرة الداهم. وفي ذلك مؤشر على تأرجح متجدّد. إذ فسر قائلاً:

«ليس عجز هذه القيادات منذ اندلاع ما يدعى بالربيع العربي عن الخروج معاً بخطاب جديد واعتماد أسلوب جديد لأداء الأمور سوى من أعراض العجز المتأصل عن فهم المبادئ القابعة وراء الانتفاضات العربية، وهي السعي لمزيد من الكرامة الإنسانية والحرية والمساواة والتصرف على أساس ذلك.»

وبذلك ولّد «الربيع العربي» وعياً مستجدّاً يناهض الاستبداد وينبذ علّة الوجود القائمة على نظريات المؤامرة التي تتغذى بوسائل الإعلام الزائفة، ويعارض تعليق مشاكل الأمة على شماعة العدو الحقيقي أو المُتخيّل. ولكن كما قال الدكتور قطان قد تسهم القيادات الكنسية إسهاماً إيجابياً بالوضع الراهن عبر:

«إطلاق الإصلاحات الجذرية والبنوية، والانفتاح أكثر على مشاركة القاعدة الشعبية، وبالمقام الأول التوصل إلى رؤية مشتركة لاهوتية وثقافية ومجتمعية.»

وبالنسبة له أحد عوامل تطوّر المستقبل المشرق للمسيحيين في الشرق الأوسط يكمن:

«من دون شك في كيفة تفهم الجماعات المسيحية لبعضها بعضاً وإلى أي حد يمكن لها أن تثبت على قدرتها التفكير والعمل معاً، بغزارة ونجاعة أبلغ.»

كان تصويت الأكثرية أداة مهمة من أدوات الديمقراطية، فلا ينبغي الخلط بينها وبين الديمقراطية بعد ذاتها. إذ ينبغي لحكم الأكثرية أن يندرج ضمن سياق من الشرعية والقبول وسيادة القانون. وبالتالي عرض ما يدعوه "نهج حاج السلام" والذي انتهجه الباباوات الكاثوليكيون على وجه الخصوص. ووفق هذا المنهج يكتسي وضع "حاج السلام" الذي ينتهجه الباباوات مرتبة سلمية ويحيي تقليداً ينبذ التدخل العسكري. وبالنسبة للعالم العربي، قدم رؤية لشرق أوسط يبني فيه المسيحيون والمسلمون مجتمعاً عادلاً معاً وبسلام. وفي ختام مداخلته شدد الدكتور بارباتو: «ينبذ منهج الحاج نظاماً سياسياً قائماً على الجبروت وحسب. إذ يبقى الحاج دائماً جاهزاً للمغادرة والعودة إلى دياره. ويتيقن الحاج أن الحوار واثق النفس والشجاع يسود في نهاية المطاف ولا بد، ويمكن له أن يرسي نظاماً سياسية أكثر استقراراً وسلاماً».

وكان الدكتور أسعد الياس قطان المتحدث التالي الذي تفضل بالكلمة. وقد قدم رأياً جامعياً مختلفاً لوضع المسيحية متعدد المذاهب في العالم العربي. وبين الدكتور قطان استناداً على ملاحظة تأويلية بعض الشيء، أن في سياق جلسة النقاش ينبغي اجتناب غواية مزدوجة. وهي أولاً «غواية اعتبار الجماعات المسيحية دخيلة، وكأنها في عزلة عن التغيرات المجتمعية التي تنتاب مجتمعات الشرق الأوسط رهناء، أو كأن على المسيحيين، لمجرد كونهم مسيحيين، أن يظهروا ردات فعل مختلفة عما يبدر عن جيرانهم.» والغواية الثانية التي يجب اجتنابها، حسب الدكتور قطان، هي في اعتبار الإسلام دخيل كما لو كان ديناً بمعزل عن سياقه غير قابل للتغيير، أو أنه يقوم إلى أبد الأبد على جوهر غير قابل للتعديل.

وتناول الدكتور قطان إثر هذه الملاحظات الاستهلاكية شأن المسيحية الشرقية متعددة المذاهب. وأبرز عدداً من الخطوات الملفتة في صدد المسكونية، مثل اتفاق دير الشرفة في شأن القربان المقدس والزواج إضافة إلى كتاب التربية الدينية الموحد المستخدم في المدارس الحكومية. وتعزى هذه الإنجازات حسب الدكتور قطان بدرجة أقل إلى «الحماس المسكوني لدى قادة الكنائس منها إلى التغيرات المجتمعية العميقة، وخاصة العدد المتزايد للزيجات بين المذاهب.» ويأتي هذا التطور برأيه تأكيداً على أن سلوك المسيحيين ليس فقط كأفراد وإنما جماعة يتأثر إلى حد بعيد بعوامل خارجية تتحدى منطق الجماعات المستقلة والمغلقة والمكثفية بذاتها.

وعلى نقيض هذه الأمثلة الإيجابية للتعامل بين المذاهب، أحال الدكتور قطان إلى أزمة مزدوجة تواجهها حالياً المسيحية الشرقية متعددة المذاهب. وهي أولاً الأزمة التي حلت مؤخراً بمجلس كنائس الشرق الأوسط. إذ ما زالت «الفجوة فاعرة بين المجتمع المسيحي المتشعب بتفاعلات ما بعد الحداثة الدائمة التغيير، وقيادات الكنيسة التي ما زالت تعمل وفق بنى وراثتها من الماضي

وكان المتحدث التالي هو الدكتور ماريانو بارباتو، عالم العلاقات الدولية والمجتمع العالمي، وهو قدم تحليلاً ناقداً لرد فعل العالم الأوسع إزاء الاضطرابات والتحوّلات والفضائع المرتكبة في الشرق الأوسط. وقد طرح الدكتور بارباتو الأسئلة التالية: لماذا يستجيب العالم بهمة فائترة؟ وفي أي سياق عالمي يقع الاضطراب في الشرق الأوسط؟ وما الذي يمكن توقعه واقعياً من القوى العظمى والمجتمع الدولي؟ أهنأك من خطأ في المطالب؟ وما هو الدور الذي يمكن للكنيسة، ولا سيما بابا روما، الاضطلاع به؟

وللإجابة على تلك الأسئلة ورّع الدكتور بارباتو حديثه في أجزاء ثلاثة، متناولاً أولاً قضية التدخل الخارجي في نزاعات الشرق الأوسط. ولا سيما أن الجماعات المسيحية تحس أنها قد غرّر بها جزاء الإهمال والجهل بحالها وخاصة لدى الشعوب الغربية.

ولذلك مضى قائلاً يرى المسيحيون الشرقيون العلمنة بمثابة التطور الذي يحطّم غالباً التعاضد المسيحي. ولذلك ينبغي أن تستوعب حقيقة أن «لا يمكن للشرق الأوسط أن يتوقّع تدخل العالم أو بعض القوى العظمى بحلّ منصفٍ ومناسب». وأسهب الدكتور بارباتو، بدءاً بالولايات المتحدة القوة العظمى الأوحد في العالم، قائلاً:

«أسفت حكومة أوباما في غمرة الاضطرابات التي عقبّت الربيع العربي على مبدئها "القيادة من الخلف" إذ إنها لم تكن راغبة في ترك الآخرين يقودونها للتدخل. وبالرغم من الضربات الجوية الجسيمة ضد الدولة الإسلامية ومن دعمها لقوات مختلفة على الأرض، تمتنع الولايات المتحدة عن الاضطلاع بالدور الحاسم الذي كانت تؤديه سابقاً في المنطقة.»

وعلاوة على ذلك استحققت قوة الاتحاد الأوروبي وصفها بالقوة الضابطة إذ تتعدم تقريباً قدرتها على الضغط على جيرانها بدل أن تجذبهم. بل وينبغي فهم التدخل الروسي منذ 2015 الذي أتى بالأثر البالغ على الحرب السورية فهماً دقيقاً، كما حذر الدكتور بارباتو. وبذلك يكتسي عاملان أهمية خاصة:

«دافعت روسيا بالمقام الأول عن قاعدتها البحرية في طرطوس واستخدمت مسرح الحرب السورية لكي تقدم عرضاً مذهلاً لقدراتها العسكرية، ولا سيما أيضاً اللوجستية التي تليق بقوة عظمى سابقاً وقوة إقليمية قديرة. ويجوز اعتبار الأولوية الصغرى بالتعاضد مع أخوتهم المسيحيين في المنطق الروسي عبر اتخاذ منظور المقارنة الوجيزة مع سياستهم ضد أوكرانيا.»

وركز الدكتور بارباتو في كلامه عن الجزئية الثانية المهمة من حديثه على "الآمال السلطوية بعد الأوهام الديمقراطية؟" واعتبر أن إرساء الديمقراطية هو أحد أهم مصطلحات العلاقات الدولية والمجتمع العالمي والذي أدرك الشرق الأوسط أيضاً بمفهومه. ولكن، أسهب قائلاً، إن

«يشكل المسيحيون حوالي 0,1 بالمئة من إجمالي عدد السكان، وفي مصر حوالي 10 بالمئة، وفي الأراضي المقدسة حوالي 1,5 بالمئة، وفي لبنان حوالي 35 بالمئة، وفي الأردن حوالي 4 بالمئة، وفي إيران حوالي 0,35 بالمئة، وفي العراق أقل من 2 بالمئة، وفي سوريا أقل من 8 بالمئة؛ وما زال الوضع يتغير نحو الأسوأ في كل أرجاء إقليم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.»

وأبرز الأب جليخ أن المسيحيين يشكلون أقلية في الشرق الأوسط من منظور هذه التركيبة السكانية، وهم بحد ذاتهم يتوزعون على أقليات صغيرة تتألف من 29 كنيسة وجماعة كعدد إجمالي. وأكد على أن حياتها اليومية تتحدد حالياً بظرف النزاع الشامل، والذي يعيشون في خضمه في حالة الطوارئ،

«وهي حالة يتهدد فيها وجودهم. إذ نبقي منشغلين حيال تقدم الحوار المسكوني-اللاهوتي بين الكنائس الشرقية، ويتبين لنا أن الأولوية بالنسبة لها على مر العقود كانت في أن تحافظ على بقائها وحسب.»

وعلى أساس ذلك يتحرك الصعيد الحواري على نحو بطيء جداً وشاق بالفعل. إذ تجذرت الانشقاقات والاختلافات التي مضى على عمرها قرون في الأذهان والسلوكيات ولا يمكن توقع اختفائها باليسر الذي قد يخطر للبعث. ومضى الأب جليخ شارحاً أن الحوار المسكوني بين الكنائس من مختلف البلدان ليس منزهاً تماماً عن التدخل والمصالح السياسية، وإذ يعتبر الدين المسيحي أدنى مرتبة من الإسلام، تبقى المسيحية في أفضل أحوالها، إن لم تكن عرضة للاضطهاد، في وضع التسامح معه ولكن تحت قيود كثيرة. ومع ذلك تقع حالات عديدة من الحوار والتقارب بين المسيحيين الشرقيين وفق الأب جليخ. وقد أحال على سبيل المثال إلى الاتفاقات بتيسير القيود على الزيجات المختلطة بين المسيحيين.

وبالرغم من هذه الصعوبات، بل وبفضل بعض الفرص، تسعى المسيحية الشرقية لاكتساب حقوقها كاملة بالحرية والمواطنة. ويبقى الحق برعاية الحوار مع الكنائس في البلدان الأخرى أو من التقاليد الأخرى أولوية حاسمة. وقد مضى الأب جليخ قائلاً:

«ينبغي على الكنائس الشرقية أن تمسك بزمam المسؤولية عن وجودها ودورها الفريد في المنطقة، بمثابة شمعة صغيرة تضيء غرفة دامية الظلام. وبالرغم من سعيهم للبقاء ومعاناتهم المتواصلة، تبقى المسيحية شرق الأوسطية علامة رجاء للمسيحيين وللحوار وللانفتاح والتنوع ولإمكانية العيش الواحد والقبول بالآخر حتى ولا سيما إن لم تكن متشابهين؛ ولإمكانية أن نكون شهداء للمسيح وسط المجتمع غير المسيحي.»

المؤسسي. وركز الكردينال على شأن آخر وهو وضع اللاجئين لا سيما في لبنان والأردن، حيث ينبغي أن يُبذل عمل كبير بالتعاون مع الحكومتين.

ويتوجب تقييم الوضع على نحوٍ شامل كما وضّح الكردينال ساندرى لأن تعقيد ظروف المنطقة عارم. وهو يتكوّن من تحديات مختلفة قديمة ومستجدة. واسترعى انتباه الحضور إلى موضوعات مهمة في ما يتصل بالعوامل القديمة، هي جذور المسيحية الموجودة في المنطقة، حيث:

«بدأ تاريخ الخلاص واكتسب تجليه الكامل؛ تتجذّر الكنيسة أيضاً في المنطقة، إذ نشأت فيها عبر تعاليم الرسل. وحتى الانقسام قديم العهد ويتجذر تجذراً عميقاً فيها. وهو تطوّر عبر الخلافات العقيدية وبسبب العوامل السياسية في حقبة مختلفة.»

وأشار الكردينال ساندرى إلى جوار هذه النظرة التاريخية إلى عناصر مستجدة تعترض المسيحيين في علاقتهم مع بعضهم بعضاً. وتتجلى هذه العناصر في التعاون والروح المسكونية. وساق أمثلة السينودس الأرثوذكسي الذي انعقد في حزيران 2016، واجتماع البابا فرنسيس مع البطريرك برثلماوس، واجتماع البابا مؤخراً مع بطريرك موسكو. وكما أكد الكردينال ساندرى تشهد هذه العناصر على واقع الكنائس. ولكن القضية الأهم هي اعتراف الجميع أن مركز الحوار المسكوني هو المسيح الذي يؤمن به الجميع على حدٍ سواء.

وفي ما يخص موضوع نقاش الجلسة شدّد الكردينال ساندرى على أهمية مصطلحي "الاستقبال والوحدة" بين الكنائس والمذاهب المسيحية. وتكتسي الأسئلة التالية الأهمية بالنسبة له: هل نحن جاهزون للتعاون الصادق في صدد تشييد البنى على غرار التفسير الرسولي؟ أم أننا نخطر باعتبار أنفسنا الوصي الوحيد على المؤسسات الكنسية؟

ويعتبر الأب ميشال جليخ أحد أبرز المعنيين في حقل الحوار والعلاقات بين الكنائس المسيحية في البلدان العربية، وهو الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط. وقد عرض الأب جليخ في مستهل حديثه بعض الأرقام التي توضح التطوّر السكاني لمسيحية الشرق الأوسط. إذ يمثل المسيحيون فيه حوالي 0,6 بالمئة من إجمالي تعداد المسيحيين في العالم. ونظراً للاضطرابات السائدة في المنطقة وهجرة المسيحيين وتهجيرهم الناتجين عنها، «يشكل المسيحيون اليوم من 4,2 إلى 6,5 بالمئة كحدّ أقصى من إجمالي عدد سكان الشرق الأوسط، وبساوي ذلك حوالي 10 ملايين فرداً من أصل 150 مليون نسمة إجمالي عدد السكان.» ومن ثم استأنف واصفاً من الناحية الكمّية التطور السكاني في مختلف بلدان المنطقة بدءاً بتركيا، حيث:

5. جلسة النقاش الثالثة: مسيحية متعددة المذاهب: الحوار والعلاقات بين الكنائس المسيحية في البلدان العربية

رئيس الجلسة: الأستاذ ديتريش يونغ (جامعة جنوب الدانمرك)

المشاركون في طاولة الحوار:

نيافة الكردينال ليوناردو ساندري (رئيس مجمع الكنائس الشرقية، روما، إيطاليا)

الأب ميشال جليخ (الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، لبنان)

الأستاذ المساعد ماريانو بارياتو (جامعة مونستر وجامعة باساو، ألمانيا)

الأستاذ أسعد الياس قطان (جامعة مونستر، ألمانيا)

تناول النقاش في جلسة النقاش الثالثة البعد متعدد المذاهب للمسيحية في العالم العربي. وحسب الأستاذ ديتريش يونغ الذي ترأس الجلسة، كانت موضوعات النقاش الأهم هي صيغ الحوار والعلاقات بين الكنائس المسيحية المتعددة في البلدان العربية. وبين الأستاذ يونغ أن المطلوب هو استعراض ناقد لوضع العلاقات بين الكنائس. ومضى متسائلاً: «ما الذي يصنع التنوع ضمن الدين الواحد؟» وقدم إجابة من شقين وفق وجهة نظره الجامعية. إذ يعتبر الدين أولاً مكوناً للحياة الاجتماعية ولذلك هو مكونٌ للثقافة في سياق التقاليد المتميزة عن غيرها. وتخضع التقاليد الدينية ثانياً للتأويل المتواصل، ولذلك يمكن اعتبارها تنوعاً جديلاً (ديالكتيكياً).

وقدّم المتناقشون بياناتهم بعد هذا التمهيد من جانب الأستاذ يونغ، بدءاً بنيافة الكردينال ساندري. وأعرب نيافته عن امتنانه العميق لمنظمي المؤتمر الذي اعتبره بالغ الأهمية إذ يلقي الضوء على الوضع المأساوي الذي يعيشه "أخوتنا وأخواتنا في الشرق الأوسط". وقدم الكردينال ساندري إثر ذلك استعراضاً لتنوع المذاهب المسيحية في الشرق الأوسط. وأبرز في ذلك الصدد وضعهم في منطقة الخليج حيث تختلف آفاق الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية لسياقهما

«تاريخ طويل من العلاقات بين المسيحيين والمسلمين وتراكم من أوجه تصوير الواحد للآخر في القرون الأولى من لقائهما. وقد أصبحت الصور المتشكلة مألوفة إلى درجة أنها صارت مقبولة من دون تشكيك على أنها صورٌ تحيزها المصادر الكتابية الرسمية. وقد تطوّرت هذه الصور لتصبح نمطية وجرى تناقلها من دون جدل.»

وتجد نظرة المسلمين للمسيحيين جذورها في القرآن أيضاً وفق الأستاذ توماس. إذ فرضت الدولة الإسلامية في بداياتها الضوابط على المسيحيين لكي تحدّ من تهديدهم ولتعاملهم بمنزلة أدنى. وبالرغم من القيود الهيكلية على الحياة الاجتماعية المسيحية، وقعت «هجمات لاهوتية على عقائد مسيحية، وعادةً عقيدتي الثالوث والتجسد، وكان الغرض منها البرهان على ضلالها.» وسادت الفكرة مع مرور الزمن لدى المسلمين أن دين المسيحيين أبخس قيمة.

وكان المسيحيون من جانبهم ولا سيّما في بدايات الإسلام يردّون باحتقارٍ متعالٍ. وبيّن أن «الموقف العام لدى المسيحيين كان أن الإسلام ضالٌّ لأنه استند على سوء فهم للحقيقة، وسبب ذلك أنه ليس دين ربّاني المنبع بل من مصدر غير مشروع.» ولخصّ الأستاذ توماس استناداً على ما سبق أن هذه الصور النمطية تنامت في سيرورة التعامل الاجتماعي ولا سيّما في مسيرة بناء الهوية في أزمنة الاضطرابات الاجتماعية والسياسية. وأكّد في خاتمة مداخلته:

«يمكن للمسيحيين والمسلمين لو اعترفوا بذلك أن يستخلصوا العبرة من أخطاء التاريخ، وأن يعودوا إلى كتاباتهم المقدسة ويحدّدوا فيها إمكانيات إيلاء الاعتراف والاحترام حيثما تكون غمائمات التاريخ قد غطّت عليهما. إذ يضم كلّ من القرآن والإنجيل هذه الإمكانيات لو توفّرت البصيرة لرويتها.»

«فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» (سورة يونس 10:94).

واستأنف الأستاذ أيوب عرضه على عكس الجوانب الإيجابية هذه بابرار فقرات من القرآن تسي بنظره تنزع المصادقية عن المسيحيين ودينهم. واقتبس عن سبيل المثال من سورة المائدة التي يحذر فيها الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (سورة المائدة 5:51). وبين الأستاذ أيوب أيضاً أن عقيدة الثالث المسيحية مدانة بشدة إذ يعتبر القرآن يسوع المسيح مجرد "خادم لله ورسول من رسله".

وإزاء ما سلف قدّم الأستاذ أيوب الخلاصة التالية:

«يتردد صدق هذا التضارب القرآني في كلّ من سنة الحديث النبوي والفقه الإسلامي. وإنما نجم عن هذا الموقف آثار إيجابية وسلبية. فهو من الناحية الإيجابية أتاح التسامح والمودة بين النساء والرجال من جماعتي المؤمنين بكل من الدينين، ولكنه كثيراً ما أدى إلى عدائية متجذرة في أزمنة النزاع والتوترات العسكرية والسياسية.»

وأوصى الأستاذ أيوب بالنسبة للحوار المسيحي-الإسلامي بقراءة انتقائية في القرآن، ولا سيما تحييد الفقرات التي يمكن أن تكون دليلاً لعلاقات المودة. واختتم مداخلته باقتباس القرآن كما يلي: «ينبغي علينا في حياتنا في عالم اليوم أن نتبع الهداية القرآنية: "وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا ۚ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (سورة البقرة 2:148).

وكان المتحدث الأخير في جلسة النقاش الأستاذ دافيد توماس عالم آخر مشهود له في حقل المسيحية والإسلام. وتناول الأستاذ توماس في معرض تركيزه على موضوع نقاش الجلسة زاوية الصور والأنماط والمواقف الواضحة التي تؤثر برأيه تأثيراً كبيراً على العلاقات بين المسيحيين والمسلمين. وهو اعتمد على مقالة في مجلة "ذا تابلت" The Tablet (وهي مجلة أسبوعية كاثوليكية) لكي يقدم مثلاً على العلاقات الحرجة بين المسيحيين والمسلمين. وورد في اقتباسه الوجيز أن لاجئين مسلمين في أحد الملاجئ الألمانية قد منعوا لاجئين مسيحيين من استخدام المطابخ المشتركة لأنهم قد يندسوها، إذ اعتبروهم كفّاراً. وتشير هذه الحادثة حسب الأستاذ توماس إلى:

وبالنسبة للحوار المسيحي اليهودي، أحال المطران الشمولي إلى الوثيقة المهمة "في عصرنا" ¹Nostra Aetate والتي أدت إلى الاعتراف المتبادل بين إسرائيل والكرسي الرسولي. ومع ذلك «يلقي الوضع السياسي بظلاله على العلاقات بين الإسرائيليين والمسيحيين الفلسطينيين ويحول دون الحوار العميق والمثمر» وعلى خلاف هذا الحوار المسيحي-اليهودي، يرى المطران الشمولي أن الحوار الإسلامي-اليهودي نادر الوقوع جداً، ولاسيما «بسبب الإشكالات المتعلقة بالأقصى أو جبل الهيكل». وفي ختام كلمته أكد قائلاً:

«إن الدين بحد ذاته مكوّن للنزاع وينبغي أن يكون مكوّنًا للحل. إذ يجب على القادة الروحيين أن يشجّعوا الحل المفروض دولياً ويدعموه استناداً على قرارات الأمم المتحدة التي تنص على الحل القائم على الدولتين. ولذلك ليس هناك ما يمنعنا من الحلم بالمصالحة بين الإسرائيليين والعرب، وبحلول السلام على القدس.»

وإثر انتهاء رجلي الكنيسة من عرض مفهومها للشرق الأوسط متعدد الأديان، حان دور عالم الدراسات الإسلامية الشبير الأستاذ محمد أيوب لتناول الكلمة. وأشار بيانه خاصةً إلى العلاقات المسيحية-الإسلامية من منظور القرآن. وطرح الأستاذ أيوب بالاستناد على عددٍ من الفقرات أن القرآن يشي بنظرةٍ غير واضحة للمسيحيين والدين المسيحي.

ولكنّه مع ذلك أبرز الوجه الإيجابي لهذه العلاقة عبر قوله:

«حقيقةٌ يُشهد لصحتها أن النبي محمد وصحبه الأوّلين كانوا على اتصال وثيق مع الآباء المسيحيين (القسيسين) والنسّاك في الصحراء (الرهبان) الذين لم يكونوا مستكبرين، "وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ" يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ" (سورة المائدة 5:83) وهم رجال فاضلون كانوا يصدقون بآيات حمد الله وتسيحه نهاراً وليلاً في دور عبادة سمح الله بإنشائها والتي يذكر اسمه فيها على الدوام.»

وبالإشارة إلى دور العبادة في ذلك الاقتباس، بيّن الأستاذ أيوب أن معناها هو الأديرة والكنائس والكنس والمساجد. وقال أيضاً إن المسيحيين والمسلمين وقبل بناء عددٍ كافٍ من المساجد كانوا يتقاسمون دور الله هذه كأماكن عبادة وفي وقتٍ واحد. ويعد اعتبار المسيحية ديناً من الأديان الإبراهيمية من أهم أوجه هذه النظرة القرآنية. ولذلك أكد الأستاذ أيوب أن القرآن يطلب من المسلمين الذين انتابهم الشك حيال الوحي الذي أنزله على عبده محمد أن يستوضحوا أولئك الذين قرأوا الكتاب من قبلهم، أي اليهود والمسيحيين. بل وجّه الإعياز ذاته للنبى محمد نفسه:

¹ ملاحظة المترجم: البيان الصادر عن البابا بولس السادس في 28 تشرين الأول/أكتوبر 1965 حول "علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية".

وكان المتحدث التالي الذي ألقى بمدخلته سيادة المطران وليم الشوملي، وركز فيها على الأراضي المقدسة (إسرائيل وفلسطين). وشرع في كلمته مبيناً مسارين مختلفين لتطور الأمور، إذ أبرز الفرق بين الثورة الفرنسية من جهة، والربيع العربي من جهة أخرى. فإن كانت أوروبا اليوم متوجهة أكثر نحو العلمنة والابتعاد عن الدين، فإن الشرق الأوسط علق في دوامة العنف بسبب تداخل السياسة والدين. وقال المطران الشوملي إن الناس في الشرق الأوسط يقتلون بعضهم بعضاً باسم الله ويخضعون للتصنيف الفئوي أولاً وفق معتقداتهم الديني. ولا تشذ الأراضي المقدسة على هذه القاعدة. وأفضى به هذا الوصف التمهيدي إلى التساؤل الرئيس في بيانه، وهو: كيف يعيش أتباع الديانات التوحيدية الثلاثة وكيف يتصرفون ويتفاعلون؟

ولتقديم الإجابة على التساؤل أشار المطران الشوملي إلى القدس على أنها عالمٌ مصغرٌ أو نواة تطرح الوقائع المختلفة للحياة في الأراضي المقدسة. إذ يحكم الدين سير الحياة اليومية في المدينة، ويشمل أوجه تعامل الناس مع بعضهم وتوزيع المساحات والسلوك السياسي. ويولد هذا الوضع الذي يهيمن عليه الدين كما بينَ علاقات عدائية بين اليهود والعرب. وتسيطر هذه السردية المزوجة على المناسبات والمساحات العامة كلها، والأمثلة هي العنف السياسي (العمليات الاستشهادية مقابل الهجمات الإرهابية)، المساحات المقدسة (جبل الهيكل مقابل المسجد الأقصى)، والأراضي (المحتلة مقابل المتنازع عليها)، بل واسم المدينة بحد ذاته (أورشليم مقابل القدس). وينتج عن ازدواج السردية حسب المطران الشوملي انتشار الكراهية والجهل في الأراضي المقدسة.

وكان حوار الأديان هو الموضوع الثاني الذي تناوله في بيانه. إذ أكد بدايةً على أوجه التشابه الثقافي والتاريخي واللغوي واللاهوتي التي يتقاسمها المسيحيون مع اليهود والمسلمين. ونتيجة لذلك بينَ المطران الشوملي:

«نحن نسعى على صعيد العلاقات البشرية اليومية في مدارسنا لتربية الصغار المسلمين والمسيحيين على العيش معاً باحترام متبادل. ومن الأهداف التي نطمح إليها في حوارنا مع المسلمين توليد ذهنية جديدة لكي تحترم الأكثرية المسلمة ممارسة التعددية الدينية والتنوع وحرية التفكير.» ولكن، قال مستطرداً: «تزداد صعوبة ذلك في السياق الراهن من تقدم الإسلامية في الشرق الأوسط. إذ يصعد الإسلام السياسي إلى السلطة ويترك حيزاً متضاملاً للحرية الدينية.»

واستفاد المطران نيقوديموس، وهو من العراق، من الفرصة للحديث عن معاناة شعبه وجماعته الكنسية. وذكر كنيسة كاتدرائية مار أفرام السرياني في الموصل التي جرى تحويلها إلى "جامع المجاهدين" بعد استيلاء الدولة الإسلامية على المدينة. وحسب المطران شرف كان ذلك ليس لنقص الجوامع في المدينة، بل لإذلال المسيحيين واحتقارهم.

واستطرد حديثه بالإشارة خاصةً إلى ما حلَّ بالمسيحيين في الموصل وريفها. إذ طُرد المسيحيون بتعدادهم الذي فاق 160 ألفاً في يوم واحد فقط من أرضهم. وقد وقعوا وهم أصل سكان بلادهم العراق ضحية ضروب متنوعة، فهم أولاً ضحية الصراع السني-الشيوعي، وثانياً ضحية التجاذبات والتقسامات السياسية المحلية، وثالثاً ضحية أطماع الحكومات الغربية. وأكد المطران شرف في هذا الخصوص «أنا أقصد أطماع الحكومات الغربية، نحن نحترم بشكل كبير الشعوب الغربية ونحبهم، ولكن [نأ] بالحقيقة ضحية أطماع حكومات غربية رخيصة مستعدة أن تتاجر بدماء ناس بسطاء بأرخص ثمن يكون.» وبين أن كل هذه الظروف والنزاعات أتت على حساب مسيحيي الموصل وسهل نينوى. وقال أيضاً:

«نحن من أسسنا هذه البلدان، نحن من نعتبر أصل الشعوب الموجودة في هذه البلدان، أن [نرى أنفسنا] ملقّين، مرمّين في الشارع، لا من يسأل، ولا من يبحث، ولا من يقول لماذا حدث كل هذا؟ ونحن اليوم عندما نأتي لنناقش هذه الأمور نرى (يوجد) تحليلات كثيرة ويوجد مباحثات كثيرة ويوجد مناقشات كثيرة، في الوقت الذي الوقت يُعتبر بالنسبة لنا نحن المسيحيين الشرقيين هو أكبر عامل لإبادتنا، (...) أنا بالنسبة لي هو موضوع مصيري، هو موضوع "كن أو لا تكن".»

وأعرب رئيس الأساقفة شرف عن ارتبائه حيال الغرب على ضوء ما سلف، الذي وفق أمثلة كثيرة يسعى جاهداً لحماية الحيوانات من الانقراض، في حين يتجاهل مصير السكان المسيحيين المهددين عينه بالانقراض. إذ قال:

«نحن نعاني اليوم من تهمة كاملة، (...) نحن نعرف أننا نعاني من رفضنا من قبل الآخر، (...) إما أن تكون معي أو لن أقبلك. كيف سنتعامل مع هؤلاء الناس لا أعرف، كيف سأستطيع أن أثق غداً في جاري (...) وهو أول من سعد وأنزل الصليب من على قبة كنيسة؟ وكيف سنستطيع أن نستمر في هذا العيش مع هذا الآخر الذي يوجد له نصوص مقدسة تأمره بقتلي، تأمره بتكفيري؟»

وأحال في ختام مداخلته إلى بيان السيد غسان الشامي في جلسة النقاش الافتتاحية وأكد على أن وحدها الأعجوبة أو التدخل الإلهي يمكن أن ينقذ مسيحيي العراق، إذ لم يكن هناك من أمل بالنجدة من أي طرفٍ آخر.

4. جلسة النقاش الثانية:

مشرقٌ متعدد الأديان: العلاقات بين اليهود والمسيحيين والمسلمين وأثر الاضطراب المحلي والإقليمي على التعايش المجتمعي

رئيس الجلسة: الدكتور **توماس شيفلر** (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، لبنان)

المشاركون في طاولة الحوار:

نيافة المطران نيقوديموس داود شرف (الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، الموصل وكردستان)

سيادة المطران وليم شوملي (النائب البطريركي لبطيركية اللاتين في القدس، فلسطين)

الأستاذ محمود أيوب (معهد هارتفورد اللاهوتي، الولايات المتحدة الأمريكية)

الأستاذ ديفيد توماس (جامعة برمنغهام، إنكلترا)

افتتحت جلسة النقاش الثانية اليوم الثاني من أيام المؤتمر. وقدم رئيسها الدكتور توماس شيفلر تمهيداً وجيزاً أبرز موضوع تركيز مناقشاتها. وبيّن أن تركيبة المنطقة متعددة الأديان ومتعددة المذاهب تشير إلى دورٍ متناقض في صدد الصراعات التي نواجهها حالياً. إذ قال توماس شيفلر إن ذلك التنوّع يعتبر جزءاً من خليفة الله من منظور الديانات التوحيدية. إذ أصبح الإقليم في بدايات الحداثة في الشرق الأوسط يعتبر بمثابة الفسيفساء المكوّنة من جماعات دينية عديدة، وذلك أحد الاعتبارات الاجتماعية-السياسية التي طالما ميّزت الصور البليغة التي يصوّر الناس عبرها الشرق الأوسط. ويؤثر الانتماء الديني في يومنا هذا، ولا سيّما في حالة الأقليات، على السلوك السياسي بقدر ما انتشرت فكرة بناء التحالفات بين الأقليات لمواجهة الأكثرية المناوئة.

وكان نيافة المطران نيقوديموس داود شرف المتحدث الأول الذي تقدم بكلمته إثر هذا التمهيد الوجيز. ورسم في بيان عتابي صورة قاتمة لظروف عيش المسيحيين في الشرق الأوسط. ويواجه مسيحيو العراق وسوريا كما ذكر لا سيّما خطراً حقيقياً بالانقراض. ويمكن تلخيص الوضع بالنسبة له وللجماعات المسيحية في تلك البلدان بعبارة "إما أن نكون أو لا نكون."

«إن وضع المسيحيين الحالي لا يبشر بإمكانية تجذيرهم في المشرق إلا بأعجوبة أو دعم كبير، فالمشهد في العراق والجزيرة السورية يعطي انطباعاً بأن المستقبل المسيحي يشبه مستقبل الهنود الحمر في أمريكا، ومن يبقى منهم سيكون وضعه متحفياً... وفي الهواء الطلق.»

ولم يكن المتحدث الأخير السيد غسان الشامي من رجال الإكليروس، خلافاً لمن سبقه من المتحاورين من كبار رجال الكنيسة. بل هو صحفي وإعلامي لبناني مسيحي. وقد استهل مداخلته بملاحظة لطيفة، إذ وصف نفسه "صوتاً علمانياً وسط رجال إكليروس أشداء". وانتزهها السيد الشامي فرصة لتقديم استعراض عام لوضع المسيحيين في المشرق. إذ أكد قائلاً:

«لا تبدو العاصفة التي تطيح بأسس المشرق أقبلت على الخمود، لأن التدخل الخارجي والأزمات الداخلية ما يزالان يفتكان بجسده، وما يزال السلاح والمقاتلون يتدفقون إليه، فيما تتعذر رؤية أي مشروع نهضوي - سياسي - اجتماعي.»

وحّد السيد الشامي أحد أخطر العوامل التي تؤثر خاصةً على الظروف الراهنة، وهو القوى الوحشية التي تتخذ من الإسلام وسيلةً وشرعاً. واستطرد قائلاً إن هذه القوى الهمجية أطاحت بالحدود التي رسمها اتفاق سايكس-بيكو قبل مئة عام. بل هي تسعى لتلغي سائر المكونات السكانية لمجتمعات الشرق الأوسط. فألقى المسيحيون أنفسهم فجأةً يواجهون هذه القوى الهمجية التي تسعى بذراع العنف أن تعيد توزيع "الجغرافيا والديمقراطية". وكل ذلك يجري رهنًا كما بيّن السيد الشامي. وما زالت حوادث الذبح والتجهير التي حلّت بهم في الماضي ماثلةً في ذاكرة المسيحيين الجمعية، بدءاً بتضاؤل تعدادهم السكاني في الشرق الأوسط لدى الغزوات الإسلامية الأولى ووصولاً إلى الحكم العثماني وحكم صدام حسين الرهيب في الماضي القريب. وقد تناقصت أعداد المسيحيين وفق السيد الشامي في كل بلدان الشرق الأوسط تناقصاً جسيماً مع مرور الزمن.

ولكن أشار السيد الشامي إلى أن ما يهم فعلاً ليس كمية المسيحيين بل نوعيّة حياتهم. ولكن حتى مسألة نجاعة تمثيلهم في السياسة باتت موضع الشك. ومع أن دساتير عديدة تجيد تقديم الجوانب المدنية والسكانية لوجودهم، تبقى حقوقهم صورية وثانوية بطبيعتها. وحتى في لبنان البلد الذي يترأسه مسيحي كما ذكر السيد الشامي، يرتهن وجود عدد كبير من النواب المسيحيين بتكرم المسلمين عليهم بفرضهم الانتخابية. وفي ضوء ما سلف أبرز السيد الشامي أن المسيحيين المشرقيين ولا سيما في غياب الأحزاب المدنية والديمقراطية والتعددية والمساوية في المواطنة يجدون أنفسهم من دون موطئ قدم. فهم يلتجئون إلى الكنائس لكي يطلبوا المعونة الاقتصادية أو المساعدة على الهجرة. ولم يؤدِّ هذا الوضع كما استأنف السيد الشامي قائلاً سوى إلى زيادة الضغط على الكنائس المشرقية.

وفي ختام مداخلته أكد السيد الشامي قائلاً:

مصر إذ شكلت الأساس لعدد من الثقافات والحضارات مثل الإغريقية والرومانية واليهودية والمسيحية ومؤخراً التعايش الإسلامي-المسيحي. ولكن،

«حدث في مصر استيراد أفكار تكفيرية وعدائية من بعض الدول التي لا تقبل التعددية وبسبب ضيق الحال في بلدنا ذهب شباب الستينات وبداية السبعينات الي هذه الدول وأتي بإسلام تطرفي لا يقبل الآخر وارتفعت الأصوات ضد الكنيسة وضد رجالها»

وانتشر هذا النموذج المتطرف من الإسلام حسب الأنبا بافلي الذي شخّصه بالوهابية، انتشاراً متزايداً في مصر، وكذلك غداة الثورة سنة 2011. وطغى مفهوم الوهابية المستورد في خضم الغليان الذي عقب الثورة وأنهى التعايش الاجتماعي في مصر - وأدى بالتالي إلى إحراق الكنائس. وقد صرّح البابا تواضرس علناً في هذه الظروف الصعبة، ولا سيّما على الأقباط، أن الوطن أهم المباني الدينية، إذ قال: «إن وطن بلا كنائس أفضل من كنائس بلا وطن». وأكد الأنبا بافلي في تأمله في هذه المقولة على أهمية الانتفاضة الشعبية يوم 30 حزيران/يونيو 2013. إذ قال مبيناً:

«وشكراً لله إنه استجاب إلى صلوات كل المصريين وأنقذ بلدنا وجاءت صناديق الانتخاب برئيس له حس وطني وشعور نبيل تجاه أولاد وطنه.»

وأشار الأنبا بافلي تلو ذلك إلى النفوذ الخارجي "السلبى" الذي يهدّد المسيحيين في مصر. إذ تحدث عن "أزمة أخلاقية" يعزّزها العالم الغربي الذي عزم على محو المسيحية من الشرق الأوسط ويساعد في تهجير المسيحيين من وطنهم:

«غرب مسيحي يضخّم المشاكل التافهة ويضعها علي منبر النقد و يغضّ النظر عن أمور تخص الإنسانية. (...) ويا للعجب يدافعون عن بنت تسحل وهذا الأمر في العرف خطأ طبعاً ومطارنة وأساقفة وقسوس وشمامسة يُحرقون ويُقتلون في عزّ النهار أمام كاميرات مظلمة متحرّكة تنقل هذه الصورة المريعة... لأن الأخلاق باتت شعارات وانحرفت عن المسار الإنساني وأصبحت أجندة أمريكية لتقريب المسيحيين الشرقيين من أصولهم.»

واختتم الأنبا بافلي أخيراً بالقول إن الثورات في العالم العربي قد ولّدت "انحطاطاً عربياً" قوّض مفهوم الإنسانية. بل وأكد في ما يخص الأزمة الأخلاقية في العالم العربي على أن الأزمة باتت سبب ضعف في متن الإنسان العربي. وقد نادى إزاء تلك الاعتبارات أن يبذل الجميع الجهود لكي «نعلّم جيلنا أن يكون أكثر لطفاً ومحبة وشفقة». وأكد أن أخلاق المسيح هي نور الهداية لنهضة شباب الشرق الأوسط.

عودةً إلى جاهلية غابرة لفظتها المدنية بكل مشاربها. (...) كُسرت صلباننا، خُطف مطارنتنا، دُمّرت كنائسنا ومساجدنا، جُرفت أديارنا وهُجّر أبناؤنا وكل ذلك تحت شعارات واهية وبيارق عريضة وتكفير وإرهاب أعمى». وما يحصل راهناً في الشرق الأوسط وفق المتروبوليت الحوشي يادُ حضارةً حيّة برمتها وبطمس هوية التاريخ. وعلاوة على ذلك تفشل الأسرة الدولية إذ تعجز أو تتعاجز عن حلّ النزاع في سورية. وأكد أن هذا الفشل يُعزى إلى السياسات القائمة على مصالح القوى العظمى. إذ ليست المؤسسات الدولية بالنسبة لهم سوى وسيلة لانتهاك السيادة الوطنية لدى البلدان الأخرى. واستناداً إلى ذلك صرّح: «لا ألقى باللانمة على الآخر في حرب تحدث في الشرق (...)». ولكن الوجه الخارجي للأزمة قد طغى لا بل تعدى كل شيء.»

وبمعزل عن ذلك أشار المتروبوليت الحوشي إلى المسيحيين المشرقيين على أنهم جزء لا يتجزأ من سكان المنطقة وجغرافيتها. ولاسيما بالنسبة للتعايش المجتمعي الذي اضطلع المسيحيون والمسيحية الشرقية بدور رائد فيه عبر مد الجسور وصون السبيل السلمي للعيش المشترك في منطقة مهد المسيحية. وبيّن المتروبوليت: «نحن كمسيحيين لم نكن يوماً ما فئويين ونرفض أن نكون ذمّيين (...)». نحن لسنا أقلية، ونرفض أن نسمّى أقلية، لأن منطق الوطن لا يعرف أكثرية وأقلية بل يعرف خميراً يسيراً يخمر العجين كلّهُ.»

وأكد المتروبوليت استناداً على ذلك أن العالم ينبغي له أن يستفيق ويدرك أن إحلال السلام في المنطقة يعني إنهاء العوامل التي تبتّ الاضطراب في حياة الناس. ولذلك أيضاً يعتبر «الهجرة، أو بالأحرى التهجير، ليست إلّا عبأ على المهاجر وعلى المهاجر وهي ليست أبداً جزءاً من الحل بل بالأحرى نتيجة حتمية للمعضلة». وإزاء هذه الخلفية ناشد المتروبوليت الحوشي الحضور والمعنيين جميعاً بالإحاطة بالوضع الشائك في لبنان. فبالنسبة لدولة الأرز وجّه «دعوتنا الحثيئة إلى الحفاظ على بلدنا لبنان (...) منبراً للفكر المستنير وللثقافة ومونلاً للعيش الواحد والمواطنة.» واختتم خطابه بالأصالة عن غبطة بطريرك أنطاكية يوحنا العاشر يازجي بإبراز شأن النزاع في سوريا.

وختم بطرح التساؤل الجدلي: «ألا يكفي ما قد حصل ويحصل [في سوريا]؟ دعوا شعبنا في شرقه يعيش. فقد آن للعالم أن "يجد الطريق إلى دمشق"!».

وكان نياقة الأنبا بافلي المتحدث التالي الذي ألقى ببيانهِ. وركّز خاصةً على الوضع في مصر. ونقل في مستهل حديثه تحيات قداسة البابا تواضرس الثاني. وثم استأنف شارحاً مدى أهمية

كله. وأما للاعتبار الثاني، فأكد على تطوّر الخصومة الإقليمية بين إيران والمملكة العربية السعودية لتتحول صراعاً شاملاً بين السّنة والشيعة. وأما الاعتبار الثالث والأهم، كما أشار البطريك الراعي، فهو انسداد الطريق في تسوية النزاع الإسرائيلي-الفلسطيني وسياقه الأعمّ الإسرائيلي-العربي. وأما للاعتبار الرابع، فهو حدّد بعض العوامل السلبية في الإسلام التي تسهم في الظروف التي أحاطت بالانتفاضة الشعبية، وهي الإسلام الأصولي، والرافض للعلمنة، والذي ينبذ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وأخيراً ضعف التطوّر والسمات المناهضة للحدّات في الإسلام. وشدد البطريك الراعي، إلى جوار سرد هذه الاعتبارات للانتفاضات العربية، على الأخطاء الكثيرة التي صاحبت المظاهرات الشعبية خلالها. وذكر أن استخدام الحكومات الوطنية للقوة المفرطة في تفريق المظاهرات كان الخطأ الأول. وأما الثاني الذي أشار إليه فكان دعم بعض البلدان ومساندتها لمنظمات إرهابية أو جماعات متطرّفة. وألقى غبطته الضوء إزاء هذه الخلفية على التبعات السلبية على المسيحيين والكنائس المسيحية في الشرق الأوسط، وأعطى مثلاً تدمير الكنائس وتهجير السكان الجماعي والإلغاء الثقافي الذين حلّوا بالمسيحيين الشرقيين. وبجانب هذه العوامل التي تقوّض وجوداً انقضى على عمره ألفي عام في المنطقة، انتقد البطريك الراعي في بيانه صمت المجتمع الدولي الذي لا يقوم بشيء سوى تسهيل هجرة المسيحيين. وأكد على أن «المسيحيين ليسوا أفراداً مبعثرين في البلدان الشرق أوسطية، بل هم كنيسة المسيح الجامعة، المتواجدة في هذه البلدان بمختلف تراثاتها: الأنطاكية والبيزنطية والأورشليمية والإسكندرية والكلدانية.»

واستناداً على تلك الأفكار ختم البطريك الراعي كلمته باقتراح بعض الأفكار للتغلّب على نواحي التظلم في المنطقة: 1. إتاحة التعديلات الدستورية وإعادة صياغة الدساتير استناداً على مبادئ الديمقراطية والتعددية - ويعتبر لبنان، بالرغم من بعض النواقص، نظاماً سياسياً نموذجياً؛ 2. إنهاء الحروب في المنطقة وإرساء السلام العادل والشامل والدائم. ولا سيّما صون الثقافة الخاصة بكلّ بلد كونها المسيحيون والمسلمون معاً. ومن وجهة نظر رجال الدين، تستحق الأولوية للأعمال التالية: ينبغي على الكنائس المحلية حول العالم أن تساعد الكنائس الشرقية لتبقى في بلدانها وتعزّز حضورها فيها.

وكان المتحاور الثاني الذي تفضّل بالكلمة سيادة المتروبوليت إغناطيوس الحوشي، الذي أدلى ببيانه أصالةً عن غبطة بطريك أنطاكية يوحنا العاشر يازجي، والذي تعذّر عليه حضور المؤتمر للأسف. وأكد المتروبوليت الحوشي على أن البيان غرضه «نقل وجع كل أبناء هذا الشرق من كل الأطياف» لعناية لحضور. وأشار إلى «وجع أهلي وناسي الذين بشروا زيفاً بربيع لم يروا منه إلا حمرة شقائق النعمان ممتزجة بدم الشهداء والأبرياء ولم يعهدوا فيه إلا

3. جلسة النقاش الأولى الافتتاحية خمس سنوات على الانتفاضات العربية: تقييم حاصل وضع المسيحيين والكنائس المسيحية في المنطقة

رئيس الجلسة: الدكتور ميترا موسى نابو (جامعة الجيش الألماني في ميونيخ، ألمانيا)

المشاركون في طاولة الحوار:

غبطة البطريرك بشارة بطرس الراعي (بطريرك أنطاكية وسائر المشرق ورأس الكنيسة
المارونية)

سيادة المتروبوليت إغناطيوس الحوشي (كنيسة أنطاكية الأرثوذكسية، أبرشية أوروبا الغربية
والجنوبية، فرنسا)

نيافة الأنبا بافلي (الأسقف العام للأقباط الأرثوذكس، المملكة المتحدة)

السيد غسان الشامي (إعلامي، قناة الميادين الفضائية، بيروت، لبنان)

عكفت جلسة نقاش افتتاح المؤتمر في موضوع تداولها على تقييم حاصل وضع المسيحيين
والكنائس المسيحية في الشرق الأوسط غداة الانتفاضات العربية وإزاء خلفية من التفاعلات
العامة الاجتماعية والسياسية في المنطقة. وضم المتحاورون ممثلين رفيعي المستوى من الشرق
الأوسط تسنى لهم أن يعرضوا آرائهم عن الموضوع. وبعد تقديم وحيث من رئيس جلسة النقاش
ميترا موسى نابو، عرض المتحاورون بياناتهم.

وأتى الإسهام الأول من غبطة البطريرك بشارة بطرس الراعي. وعرض في كلمته تحليلاً
شاملاً للوضع الراهن. وشرع غبطته بعرض الاعتبارات المنطقية التي أدت إلى الانتفاضات
في العالم العربي. وطرح الحجة أن إعلان دولة إسرائيل كان سبباً غير مباشر «أعطى الذريعة
للعسكريين في العالم العربي كي ينقضوا على السلطة (...)» وزاد التشدد الإيديولوجي الإسلامي
والقومي. «واعتباراً من ذلك الحين صبغ الحكم السلطوي بطابعه الأنظمة السياسية في الإقليم

عبر تنسيق حلقات عملنا. وأدعونا جميعاً للتخلي بالانفتاح والانتقاد والروح البناءة في مناقشاتنا. إذ ينبغي علينا أن نواجه بانفتاح تعقيدات الوضع الراهن وأن نتفحصه بعين ناقدة. لذلك أرجوكم أن لا تمتنعوا عن الإعراب عن آرائكم الصريحة والناقدة، ولكن لنقم بذلك بروح التفهم والتعاطف واحترام الأقران.

وأرجو حقاً أن نحافظ في كل جلسة نقاش وحلقة عمل على المحورين الرئيسيين للتحليل كما بيّنت للتو. ويعني ذلك أن ننمّع من ناحية في التوجّهات الراهنة مثل تبعات الانتفاضات العربية وانتشار العنف المدمّر الذي يهدد الناس في أرجاء الشرق الأوسط، بما فيهم السكان المسيحيين غالباً ومباشرةً. ولكن ينبغي علينا أيضاً أن نأخذ في عين الاعتبار أثر التفاعلات الأوسع وأبعد المدى التي تأتي بها العولمة على مجتمعنا العالمي الحديث المترابط. وبذلك لنطرح التساؤلات حول كيفية رسم تفاعلات العولمة لملامح أنماط إدماج المسيحيين وإقصائهم، وعن كيفية تأثير العولمة على كلا طبيعة العلاقات بين الدين والدولة وعلى التفاعل ما بين الدين جماعةً والمنظور الشخصي للدين.

حضرة كبار المدعوين المبحّلين، السيّدات والسادة، اسمحوا لي أن اختتم ببعض الإرشادات التنظيمية. نقف فريقي وأنا، وخاصةً مساعدي المعني بالأبحاث الدكتور ميترا موسى نابو والمعيد لدينا السيد مارسيل دونغلد، رهن تصرّفكم لتلبية أي طلب قد تستدعيه الحاجة خلال هذا المؤتمر. وأود أن أنتهز الفرصة في هذا السياق لشكر الدكتور نابو خاصةً على العمل الهائل الذي بذله لتنظيم هذا المؤتمر، وهو غنيّ عن التعريف أصلاً إذ تواصل مع معظمكم عبر البريد الإلكتروني والمكالمات الهاتفية التي جمعتكم به لدى التحضير لهذا اللقاء. والشكر موصولاً لأمانة مؤتمر الأساقفة الألمان في بون، وأخص بالذكر الدكتورة هايكة رومباخ-تومه. ويسعدني أنها تمكنت من الانضمام لنا هنا وأود أن أشكرك شخصاً إذ كانت الأمانة الشريك الذي لا غنى لنا عنه خلال السنتين الماضيتين، انطلاقاً من تبرعم الفكرة الأولى لعقد هذا المؤتمر وحتى إزهارها اليوم. وأخيراً نشكر بحرارة موظفي مركز المؤتمرات الذي يستضيفنا، كازا بونوس باستور (بيت الراعي الصالح) على كرم ضيافتهم خلال هذا الأسبوع، والتراجم المكلفين بالترجمة المترامنة بين اللغتين العربية والإنكليزية.

ودعوني اختتم كلمتي بعقد الأمل بإثمار هذا المؤتمر وتكلله بالنجاح. أرجو حقاً أن يسهم هذا اللقاء مساهمةً متواضعة في تبين السبل للتنعم شعوب الشرق الأوسط جميعاً بمستقبلٍ أرغد سلاماً، وخصوصاً مسيحيّيه على تنوّع مذاهبهم.

رسالته إلى المسيحيين في الشرق الأوسط شهر ديسمبر/كانون الأول 2014، «كلما زادت صعوبة الوضع، تشتد ضرورة حوار الأديان»؛ وتعكف جلسة النقاش الثالثة على العلاقات المهمة أيضاً بين مختلف الطوائف المسيحية في المنطقة، «وقضية الوحدة» بين الكاثوليك الشرقيين والأرثوذكس والمؤمنين في مختلف الكنائس، وهو رجا آخر ناشده البابا فرنسيس في رسالته؛ وأخيراً جلستنا الختامية لن نتأمل في أهم أفكار لقاءنا وحسب، بل قد نتوصل أيضاً إلى أفكار مبتكرة حول كيفية جعل الشرق الأوسط أكثر سلاماً وإدماجاً.

ويتألف الجزءان الثاني والثالث من مؤتمرنا من جولتين من حلقات العمل. وأرجوكم أن تحيطوا علماً بأن حلقات العمل في كل من هاتين الجولتين سوف تعقد بموازاة بعضها بعضاً، فأرجو منكم أن تطلعوا جدول الأعمال وتتسجلوا في حلقة عمل محددة واحدة في كل جولة. ويمكن لكم أن تختاروا بين ثلاث حلقات تركز على القضايا الإقليمية المشتركة التي تأثر على سبل معيشة المسيحية في المنطقة: وهي أولاً وضع المسيحيين في مجتمع الحياة اليومية، وبهدف المشاركة مثلاً في الشؤون السياسية والاقتصادية أو في المنظومة التعليمية. ويتصل ذلك خاصة بمسألة تأثير كون المرء مسيحياً على إمكانية الإدماج أو الإقصاء في مختلف أوساط المجتمع؛ وتتحرى حلقة العمل الثانية شؤون التواصل والتغير في العلاقات بين هيئات الكنيسة ودول المنطقة. وبعبارة أخرى تتمعن في البعد السياسي للعلاقات بين الدول والكنائس والدور الذي تضطلع به السلطات الكنسية في السياسة الوطنية وكيف يتنظم هذا الدور، وكمثال عن ذلك نظام الملة الحديث بعد العثماني؛ وتتمحور حلقة العمل الثالثة حول التواصل والتغير في معنى كون المرء مسيحياً في الشرق الأوسط المتعولم، حيث تأثر مثلاً مفاهيم الفردية الحديثة ليس على الممارسات السياسية والاقتصادية-الاجتماعية وحسب، بل أيضاً على التجليات الدينية. وذكرنا لأحد المسائل التي قد نتصدى لها، ما هي التوترات الممكنة بين الدين الجمعي وأشكال التعبير الفردي عن التدين في أوساط المسيحيين الشرقيين؟

ويشتمل الجزء الثالث من المؤتمر صباح الجمعة على خمس حلقات عمل تعالج تجارب المسيحيين في أهم مناطق وبلدان الشرق الأوسط، وهي (1) الأراضي المقدسة، وتتألف من إسرائيل والأردن وفلسطين، (2) لبنان، (3) مصر، (4) بلدان الخليج التي تشهد هجرة المسيحيين من خارج المنطقة، وخاصة من الغرب ومن آسيا، وأخيراً البلدان التي تعاني الحرب والنزاع العنيف، أي العراق وسوريا.

وسوف نحظى بفرص عديدة للمناقشات والحوارات المثمرة. وأنا أمتنّ لكم جميعاً لرغبتكم المشاركة بهذا الاجتماع وطوعمكم للإسهام الفعال بنجاحه عبر المشاركة في جلسات نقاشنا أو

ومصر وسوريا والعراق. وأودّ أن نتذكّر هنا مصير جماعة الموصل المسيحيّة والتي يمكن أن يفيدنا بشأنها نيفاة المطران مار نيقوديموس داوود شرف الشاهد العيان - أو العمال المهاجرين المصريّين الأقباط الواحد والعشرين الذين ضُربت رقابهم في ليبيا سنة 2015. إذ يهدّد العنف الرهيب الذي تتوالى فصوله في المنطقة الأديان جميعاً في نهاية المطاف، مسيحيّين ومسلمين ويهود وسائر المجموعات الدينيّة على حدّ سواء. وكما تشهد جريمة قتل المواطن الإيطالي والأوروبي جوليو ريجيني، وهو طالب الدكتوراه في جامعة كمبريدج الذي كان يدرس السياسة والمجتمع في مصر والذي لم يكمل ربيعته الخامس والعشرين جرّاء تعذيبه حتى الممات على يد سلطات الدولة: فحضور الرعب والعنف الدائم في كل مكان هو شاعِلٌ شامل يمسك بقبضته الخائفة الإقليم بكامله.

وليس غرضنا من المؤتمر الاكتفاء بتقييم حاصل التغيير الذي يعترض المسيحيّين وكنائسهم في المنطقة، بسبب التحديّ المزدوج الذي يتجلّى في تبعات الانتفاضات العربيّة من ناحية واندراج المنطقة في مجتمع العالم الحديث من الناحية الأخرى، بل يكمن هدفنا أيضاً في تقاسم الأفكار بكل أريحيّة في شأن السبل السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والروحية لجعل مستقبل المنطقة أكثر سلماً وإدماجاً. وآمل حقاً أن نستفيد من جلسات النقاش وحلقات العمل أو الأحاديث غير الرسميّة خلال استراحات احتساء القهوة أو تناول الغداء أو العشاء لكي نتعلّم من تجارب بعضنا بعضاً ومعارفنا ولكي نغادر هذا المؤتمر بأفكار جديدة وآمال متجددة حيال مستقبل المنطقة ومسيحيّتها.

وكما تلاحظون من جدول الأعمال ومن قائمة المشاركين اللذين حصلتم عليهما لدى التسجيل، يجمع مؤتمرنا ممثلين موقّرين عن الكنائس المسيحيّة إضافة إلى كبار الباحثين الجامعيين المهتمّين بحقل الأديان والمسيحية في الشرق الأوسط. ويسعدني أن أراكم جميعاً هنا.

حضرة كبار المدعوّين، والسيدات والسادة، أنا لا أعتزم أن أعرض عليكم كامل برنامج عمل مؤتمرنا بالتفصيل، بل دعوني أقدم لكم رؤية موسّعة للمفهوم المنطقي الذي يقوم عليه جدول الأعمال. إذ يتألّف المؤتمر من ثلاثة أجزاء رئيسية.

يشتمل الجزء الأول على أربع جلسات نقاش عامّة. وتركّز جلسة النقاش الأولى على الوضع العام لمسيحيّ الشرق الأوسط يومنا هذا في سياق كل من أعقاب الانتفاضات العربيّة وتفاعلات العولمة الأوسع نطاقاً؛ وتتكبّ جلسة النقاش الثانية على العلاقة بين مسيحية الشرق الأوسط وسائر الأديان، ولا سيما أكبر الأديان عديداً في المنطقة: الإسلام. فكما قال البابا فرنسيس في

والأكيد أن أزمة التحوّل التي نشهدها راهناً تتراوح في حدّتها من بلدٍ إلى آخر. إذ تمرّق الحروب بعض البلدان مثل العراق وليبيا وسوريا واليمن التي تواجه ميليشيات عنيفة، ولا سيّما منها داعش. وي طرح بعضها الآخر مثل تونس مختبراً للتغيير والتحوّل السلميّن. وإذ اختارت مصر العودة إلى الحكم السلطوي، فالأردن والمغرب حبّذا الإصلاح السلطوي الحريص. أما المملكة العربية السعودية فأصبحت حارس الوضع القائم غير المستدام، محلياً وإقليمياً على حدّ سواء. وتتعدّد نزاعات الاستقطاب الإقليمي، ليس فقط في البلدان العربية وبينها، بل باشتراك إيران وإسرائيل وتركيا أيضاً.

ولكن يجب اجتناب الوقوع في اللبس: فكل الاعتبارات المحليّة والإقليميّة التي أدّت إلى الانتفاضات العربيّة أطلق عنانها أيضاً اندماج المنطقة في مجتمع العالم الحديث. ولا شك تأتي اليوم إراقة الدم والخوف من الاندثار وعودة السلطوية والمعارك الأيديولوجية المريرة وتلقي بظلالها في كثير من مناطق الشرق الأوسط وتطغى على الكفاح من أجل مجتمع أكثر إنصافاً وإدماجاً وانفتاحاً. ولكن لا ولن يمكن لكل ما سلف أن يدفن تركة انتفاضات 2011. فالبلدان العربية وإيران وإسرائيل وتركيا وأيضاً الإقليم برّمته يحتاجون إلى عقد اجتماعي جديد. إذ يتوق الشرق الأوسط إلى عقد اجتماعي أكثر تعددية وإدماجاً يحترم حقوق الإنسان الأساسية والعالمية احتراماً أكبر من سابقه السلطوي الذي رسم ملامح السياسة في معظم بلدان الإقليم منذ استقلالها عن القوى المستعمرة سابقاً. ولكن كما هو شأن التحوّلات جميعاً الشبيهة بنطاقها هذا في تاريخ البشر، فالمسار نحو النظام الاجتماعي المتجدّد يحفل بالمطبات والتعرجات.

ويبدو أن الوضع الراهن كما لا يخفى عليكم يضمّ في طيّاته من غياب اليقين والأمن قسطاً أكثر من الفرص التي يتيحها. ويثير غيابهما في زمن النزاع والحرب هذا دعر الأقليات العرقية- القومية والدينية على وجه الخصوص. وتنبّرر هذه الخشية عن وجه حق على سلامتهم وبقائهم جماعةً، إذ يُعتبر المسيحيّون مجموعة دينيّة مهمّة وبلغية المعنى لوجودها في الشرق الأوسط المسلم بسواده الأعظم. وحقاً ليس حسب الشرق الأوسط كونه مكان مولد المسيح ومهد المسيحية فقط، بل تتعدّد المذاهب المسيحيّة وتشكّل جزءاً مكوّناً لتركيبته الروحية والاجتماعية، اليوم كما على مرّ الألفيّتين المنصرمتين. ويجب للمسيحيين أن يكونوا جزءاً لا غنى عنه لمستقبل المنطقة.

استذكر هنا زيارتي الأخيرة للقدس حيث حظيت بشرف لقاء سيادة المطران الشوملي، وهو أيضاً من بين ضيوف مؤتمرنّا. وقد طغت على اجتماعنا آنذاك حادثة الاعتداء بالحريق المفتعل على كنيسة تكثير الخبز والسّمك التي وقعت في اليوم عينه. وقد شهدنا في السنوات الماضية اعتداءات كثيرة على الكنائس والأديرة كما على المجتمعات المسيحية في أماكن مثل ليبيا

2. كلمة الترحيب والاستهلال الثانية المسيحية شرق الأوسطية في عهد التحول

الأستاذ الدكتور شتيفان شتيتير

جامعة الجيش الألماني في ميونيخ، ألمانيا

أمتن امتناناً كبيراً لفرصة الترحيب بكم جميعاً في روما بمناسبة مؤتمرنا الدولي عن المسيحيين والكنائس المسيحية في الشرق الأوسط المتغير.

ويشرفني أن أكون الجامعي المعني بتنظيم هذا اللقاء كوني الباحث في شأن السياسة العالمية ودراسات الشرق الأوسط، وعضو في فريق البحوث في شؤون الكنيسة الدولية التابع لأمانة سر مؤتمر الأساقفة الألمان. واسمحوا لي قبل أن أتشاطر معكم الدوافع المنطقية لاجتماعنا أن أعرب بدايةً عن خالص عرفاني لمؤتمر الأساقفة الألمان - وأخص بالذكر سيادة رئيس الأساقفة لودفيغ شيك - على سخاء دعمهم لاجتماعنا. فمن دون تشجيعكم ومساندتكم لما كان لهذا اللقاء أن ينعقد. وأرجوكم أن تنقلوا شكرنا لسيادة الأسقفين هاسلبرغر وتسيكورن اللذين كانا داعمين كبيرين لهذا المشروع في فريق البحوث في شؤون الكنيسة الدولية خلال العامَيْن الماضيين.

حضرة كبار المدعوين، والسيدات والسادة، منذ خمس سنوات أخذ الناس في ميدان التحرير بالقاهرة، وفي شوارع تونس ودرعا والكثير من أنحاء العالم العربي ينادون بالتغيير لنسيج المنطقة السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ولكن لم تكن هذه الاحتجاجات ما ولد أزمة التحول التي نشهدها في العديد من بلدان المنطقة اليوم. إذ وصف تقرير التنمية البشرية العربية الذي نشره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وحتى في وقت مبكر يعود إلى العقد الأول من القرن الراهن، الوضع القائم سياسياً واقتصادياً وثقافياً في المنطقة بغير القابل للدوام. ولكن الشرق الأوسط ليس بكون قائم بمعزل عن غيره. بل هو مكون متكاملاً من عالم لا ينفك متولماً ومتشابكاً. إنه جزء لا يتجزأ من مجتمع العالم الحديث الذي نشهد فيه تدفقاً عالمياً للأفكار مثل مفاهيم محاسبة الحكومة والحقوق الفردية والمواطنة الشاملة للجميع والتعاون متعدد الأطراف. ومن مميزات المجتمع العالمي هو أن الناس من الأديان والأمم كافة، إناثاً وذكوراً، شباباً وكهولاً، يطلبون احترام كرامتهم وحقوقهم الأساسية بمثابتهم الرعية حديثة الهوية.

وتبرز أهمية الصلاة لنا في كل هذه المساعي. إذ يطلب الأساقفة الألمان بانتظام من المؤمنين أن يصلّوا لأجل لمسيحيّين المنكوبين. وكنا منذ بضعة سنوات قد اعتمدنا أيضاً يوماً خاصاً للصلاة لهذا الغرض، تحييه الرعايا والأبرشيّات الألمانية جميعاً سنوياً يوم 26 كانون الأوّل/ديسمبر.

ويأتي المؤتمر الذي نعقده هذه الأيام علامةً متواضعة على تضامننا.

وراهناً ينصبّ أغلب تركيز أساقفة الشرق الأوسط، وتركيزنا نحن في ألمانيا أيضاً، على المسائل الموضوعيّة التي تعترضنا في هذه اللحظة التاريخيّة. والقضية الكبرى في ألمانيا هي العدد الضخم من اللاجئين، والكثير منهم يأتي من سوريا. وأعتقد من المفيد لو حدانا مؤتمرنا بأن نتأني ولا نقصر رؤيتنا على الاحتياجات الفورية اليومية، بل نوسّع نطاقها بهداية من الخبراء الجامعيّين في مسعانا لتعميق إدراكنا للأسباب والخلفيّات، والمخاطر، والفرص والأفاق الواقعيّة للمستقبل.

وبهذه الروح أتمنى أن نتمتع بمؤتمر ناجح ولقاءٍ مثمر خلال الأيام القادمة.

والآن أطلب من الأستاذ شتيتير أن يشرح لنا مفهوم المؤتمر وأهم المسائل لمناقشات الأيام المقبلة.

ومع أن الغرض من هذا المؤتمر هو الانكباب على الآفاق بعيدة المدى، إلّا أننا لا يسعنا، بل وليس علينا، أن نتجاهل بور الاحتدام الراهن. إذ إننا واجهنا خلال الأشهر والسنوات الأخيرة حركة للهجرة واللجوء تاريخية المقاس. لم يكن المسيحيون الوحيدون الذين طلبوا الملاذ، وإنما هجرتهم الجسيمة إلى أوروبا وأميركا الشمالية تطرح تهديداً جدياً لبقاء المسيحية الشرقية. ولهذا السبب علينا أن نسأل ما العمل لوقف هذا التطور؟ والسؤال الآخر هو: ما سيكون التأثير ليس فقط على المنطقة، بل على السلم بين الأديان حول العالم إن وصل التعايش السلمي بين المسيحية والإسلام في البلدان الشرقية إلى نهايته؟

واسمحوا لي أن أتوخى الوضوح: لا ينبغي علينا القبول بنزوح المسيحيين من الشرق الأوسط. بل يجب علينا أن نسعى على الصعد كافة وبالوسائل المتاحة كلها لنضمن أن ظروف عيش المسيحيين في بلدان أصلهم تتيج بقائهم فيها. وأنشغل أيضاً حيال أولئك الذين هربوا أصلاً من بلدان موئلهم خوفاً على الأرواح والأجساد لكي يصلوا بأنفسهم وبأسرهم إلى برّ الأمان. ولا شك لا يجوز لأحد أن يجبر على العودة إلى موقع الخطر. بل ما يهمنا بالأحرى هو أن لا يُحرم اللاجئون المسيحيون من إمكانية عودتهم إلى ديارهم بعد أن تضع الحروب الدامية والاضطهادات أوزارها - مثلاً في مناطق ما يدعى "بالدولة الإسلامية". إذ نادى الأساقفة الألمان صراحةً في "مبادنتهم المرشدة لعمل الكنيسة مع اللاجئين"، التي نُشرت منذ بضعة أيام في ما يخصّ اللاجئين المسيحيين من البلدان الشرقية : «هم أيضاً لهم الحق بوطنهم، هم أيضاً تحقّ لهم بالعودة.»

وترى الكنيسة نفسها جسداً واحداً. والجسد برمته يتألم لو تألم أحد أعضائه (كورنثوس الأولى 12:26). فلذلك سعى مؤتمر الأساقفة الألمان لسنوات عديدة وعلى الصعد كافة لضمان التكافل مع الكنائس والمسيحيين في الشرق الأوسط. ونحن نحافظ على تواصلنا مع الكنائس في المنطقة ونسعى أيضاً لمدها بالمعونة المادية. كما نبقى المسيحيين في ألمانيا والمجتمع بأسره على بيّنة بوضع المسيحيين الخاضعين للضغوط والاضطهاد عبر نشر أوراق العمل بوتيرة منتظمة. وسوف يُنشر قريباً "التقرير المسكوني بشأن حرية الدين المسيحي حول العالم" بنسخته الثانية مستنداً على الحقائق العلمية. وعلاوةً على ذلك نعقد المحادثات مع الحكومة والبرلمان الألمانيّين لكي ندكي دراية أهل السياسة في ألمانيا والاتحاد الأوروبي باحتياجات المسيحيين في العالم العربي والإسلامي.

وممثلي الكنائس لنقل تجاربهم ومعرفتهم ووضعها قيد التحليل والتقييم العلميين. ونرجو أن يسهم ذلك في اكتساب علم جديد بخلفيات الوضع الراهن ومسبباته، وبالمخاطر والآفاق في المستقبل.

وأنا أمتنّ للأستاذ شتيغان شتيتر، رئيس المؤتمر، ولزميله الدكتور ميترا موسى نابو لعملهما على إعداد برنامج المؤتمر وتنظيمه هنا في روما. وأودّ أيضاً أن أشكر فريق البحوث في شؤون الكنيسة الدولية التابع لأمانة سر مؤتمر الأساقفة الألمان التي يترأسها الأستاذ يوهانس مولر اليسوعي. إذ إنهم أطلقوا مشروع هذا المؤتمر، الذي بادر به مؤتمر الأساقفة الألمان، وأضافوا له زخماً قيماً.

تعرفون جميعاً: لم يمض عهدٌ بعيدٌ على عقد الكثير من الناس الرجاء المتأمل على تحسن الوضع السياسي في الشرقي الأدنى والأوسط. إذ اعتقد الكثيرون سنة 2011 وأملوا أن الإقليم سوف يهبط، وبناءً على مشيئة قطاعات واسعة من سكانه، سيقطع خطوات كبرى تجاه الديمقراطية والتجديد الاجتماعي. وكانت الحريتان السياسية والدينية، والحقوق الإنسانية والمدنية بدت وكأنها أخيراً تحقق اختراقاً في العالم العربي أيضاً. وقد رسم ما دعي "بالربيع العربي" آفاقاً لبروز مجتمعات حرة تعطي حتى الأقليات الدينية فرصاً أكبر لنمائها. ولكن سرعان ما تبددت تهيؤات أولئك الذين حдахم الأمل آنذاك بقطع أشواط التحسن سريعاً. ولم تنبأ وتيرة الحوادث فحسب، بل انعكس مسارها تماماً. إذ تهيمن الآن على المشهد الأنظمة الدكتاتورية شبه العلمانية والتطرّف الديني والحروب والصراعات الأهلية. وصرنا حتى نسمع الحديث عن "الشتاء العربي".

ومع ذلك، ينبغي أن نتحلى بمنظور متميز. إن وضع المسيحيين في بلدان الشرق الأوسط مختلف جداً. التقاليد تختلف، ونفس الحال يسري على السياسات الدينية، والتركيب السكانية الدينية، والنزاعات المفتوحة أو الكامنة التي تؤثر على التعايش. وإن من طابع المؤتمرات الأكاديمية أن تحلّل مختلف السياقات بالتفصيل لكي تحقق النتائج الدقيقة. والأسئلة المهمة هي: ما هي الفرص، على الأقل على المدى البعيد، لقيام مجتمع يحترم حقوق الإنسان وحرية المذهب فوق كل شيء؟ وما هي العوامل الحاسمة لمستقبل المسيحية الشرقية؟ وما هو الدور الذي تضطلع به التطورات الدولية في هذا السياق؟ وأنا هنا لا أفكر فقط بدور القوى الأجنبية التي تمارس بعض الألاعيب الماكرة على حساب أهل هذه البلدان. ولا ننسى أهمية تكامل المجتمعات شرق الأوسطية في سياق المجتمع العالمي الصاعد. إذ أصبحت وسائل الإعلام والاتصال، وخاصةً وسائل التواصل الاجتماعي، عاملاً مهماً في رسم المسارات السياسية والاجتماعية الدولية.

1. كلمة الترحيب والاستهلال الأولى

سيادة المطران لودفيك شيك

رئيس أساقفة بامبرغ ورئيس لجنة مؤتمر الأساقفة الألمان المعنية بالشؤون الكنسية الدولية.

غبطة البطريرك،
نبافة الكاردينالات وسيادة المطارين،
حضرات السيدات والسادة،
أخواتي وإخوتي الأعزاء في المسيح،

أرحّب بكم باسم مؤتمر الأساقفة الألمان في مؤتمرنا عن المسيحيين والكنائس المسيحية ودور الديانة في الشرقين الأدنى والأوسط. إذ سننكب على ظروف عيش المسيحيين في بلدان تتمتع غالباً بتقليد مسيحي عريق مضى على وجوده قرون طويلة؛ بل إنه يعود إلى أصول الدين المسيحي وبداياته في مواقع كثيرة منه. وقد عانت البلدان الشرقية عبر تاريخها من الكثير من النزاعات بين المسلمين والمسيحيين. ولكنها أيضاً خبرت أزمنة من التعايش بين المؤمنين من الدينيين - وهو تعايش يعاني اليوم من الهشاشة ومن تهديد وجوده. واليوم ينبغي على المسيحيين في البيتين العربية والإسلامية أن يعيشوا إيمانهم في ظل ظروف شاقة وأحياناً خطيرة.

يسعدني أن يجمع مؤتمرنا الأساقفة وممثلي الكنائس من المغرب العربي إلى شبه الجزيرة العربية. ولهو من دواعي سروري وشرفي أن نحظى بحضور رأس الكنيسة المارونية، غبطة الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي، في ظهراننا. وهو سوف يحيي رتبة القداس على الطقس الماروني معنا غداً صباحاً. وأوجه ترحيباً خاصاً للكاردينال ساندري، رئيس مجمع الكنائس الشرقية. إذ دأب وفريقه طوال سنوات عديدة على رصد الوضع في الشرقين الأدنى والأوسط، وقد عملوا من دون كلل على تقديم المعونة المادية والدعم بأوجه كافة للكنائس.

ينشد مؤتمرنا تيسير الحوار بين ممثلي الكنائس والخبراء الجامعيين. لذلك أود أن أعرب عن ترحيبي الحار بحضور الخبراء الجامعيين معنا. وأنا سعيد أنكم توفّرون الفرصة للأساقفة

المجريات المناقشات في الإقليم وخارجه، وبين المسيحيين وسائر المجتمعات والمذاهب حيال ما من شأن مختلف الجماعات في الشرق الأوسط أن تسهم به لصالح مستقبل زاهر يشترك فيه كل ساكنيه، بما فيهم الجماعات المسيحية العريقة.

ويوثّق هذا الكتاب نتائج مؤتمر دولي انعقد في روما في شباط/فبراير 2016. وقد استخلص هذا المؤتمر حاصل وضع التغيّرات التي تعترض المسيحيين وكنائسهم في مواجهة تحدي العولمة، ومسيرة التحوّل العربية، والغليان الإقليمي. وقد جمع المؤتمر كل من كبار ممثلي الكنائس في العالم العربي والباحثين الجامعيين من الإقليم ومن خارجه الذين يعنون بهذا الشأن. وركّز بين جملة أمور على ما يلي:

- أثر تفاعلات التحوّل الراهن على المسيحيين والكنائس المسيحية في الشرق الأوسط؛
- والعلاقات بين الدين المسيحي وسائر الأديان في الشرق الأوسط، لا سيما الإسلام؛
- والعلاقات بين مختلف الكنائس المسيحية في الشرق الأوسط؛
- وإدماج المسيحيين وإقصائهم في الحياة اليومية وفي مختلف الأوساط الاجتماعية عبر الشرق الأوسط؛
- واستمرارية العلاقات الرسمية وغير الرسمية والتغيّر الذي طرأ عليها بين دول الشرق الأوسط وكنائسها؛
- واستمرارية سبل عيش المسيحيين إيمانهم وممارستهم له والتغيّر الذي طرأ عليها في عالم الحداثة والعولمة؛
- ووضع المسيحيين في بلدان / مناطق مختارة من الشرق الأوسط (الأراضي المقدسة، لبنان، مصر، دول الخليج، العراق / سوريا).

ويلخّص هذا الكتاب الكلمات والمحاضرات التي تقدّمت خلال جلسات النقاش الرئيسية في المؤتمر، ويتعمّد ألا يعرّز منظوراً دون غيره. وكان الغرض الأساسي من المؤتمر إعطاء الكلمة لأهل المنطقة، إذ يبلغ هذا التوثيق أصواتهم وتجاربهم الشخصية. ويحصل طبعاً أن تتباين وجهات النظر أحياناً حيال وضع المسيحيين والكنائس المسيحية في الإسهامات الواردة طيّ هذا الكتاب. إذ انعقد تبادلٌ منفتحٌ ونقديٌّ وبنّاءٌ للأفكار خلال المؤتمر، سواءً في جلسات النقاش المعروض تقريرها في متن هذا المنشور، أو في حلقات العمل المغلقة (ترجى مراجعة جدول أعمال المؤتمر الملحق آخره). وتمثّل وجهات النظر المعروضة في هذا الكتاب أفكاراً شخصية وآراء الحاضرين والمشاركين بحديثهم في جلسات النقاش (إذ كانت حلقات العمل اجتماعات مغلقة ولا يرد تقريرها طيّ هذا المنشور). وليس الغرض منها الوصول إلى خاتمة النقاش، بل أن توفر إسهاماً أصيلاً ومتفهماً لحوارٍ مقبلٍ، في الإقليم وخارجه.

وقد انعقد المؤتمر باللغتين العربية والإنكليزية (مع توفّر الترجمة المترجمة). وتنتشر مجرياته هذه بنسختها الأصلية باللغة الإنكليزية وبترجمتها العربية. ويحدونا الرجاء أن تحفّز هذه

تمهيد المحرّر

الأستاذ الدكتور شتيفان شتيتير والدكتور ميتر موسى نابو

جامعة الجيش الألماني ميونيخ، ألمانيا

انقضت ست سنوات على انطلاق الانتفاضات العربية وإقليم الشرق الأوسط يعاني شذاند جسيمة، سياسية واقتصادية وثقافية. ويعتبر الوضع الراهن على الصعيدين القطري والإقليمي عامةً وضعاً غير مستدام، كما أُنذرت سلفاً تقارير التنمية البشرية العربية منذ عقد من الزمن، وبالنظر لاندماج المنطقة غير اليسير في العالم الذي يسير مضطرباً في نهج العولمة. تتأثر مسيرة التحول العربية بكلا العولمة والانتفاضات العربية منذ 2011، وتتراوح من بلد إلى آخر في حدتها من وضع الحرب الدامية في سوريا واليمن إلى وضع مختبرات التغيير السلمي، ولو كان هشاً، كما هو حال تونس. ولكن على المرء اجتتاب الالتباس. إذ إن كان هناك من عبرة يديها هذا التحول فهي في كون الإقليم قد نضج للخوض في عقد اجتماعي جديد - عقد أكثر تعددية واستناداً إلى حقوق الإنسان وتعدداً للأطراف وإدماجاً للجميع من سابقة السلطوي بعد الاستعماري الذي طبع معظم البلدان العربية بطابعه منذ نيلها الاستقلال من القوى الاستعمارية السابقة. ولن يكتب لهذا العقد الاجتماعي بعد الاستعماري السلطوي بالدوام، ولا للنظام الإقليمي المستقطب، وإن كان يجاهد للبقاء في أشكال مستجدة تالية للربيع العربي. ومع ذلك، كما هو حال التحولات الكبرى كلها، فالسبيل إلى النظام الاجتماعي الجديد محفوف بالمطبات والتعرجات.

ويثقل هذا التحول بانعدام اليقين على مستويات عديدة. ولكنه يَأثر على الأقليات العرقية-القومية والدينية على وجه الخصوص في أرجاء المنطقة. وتنسم هذه الأقليات بكونها مستضعفة دون غيرها، كما يُظهر مصير المسيحيين في مدينة الموصل العراقية عن سبيل أفضل المثال لا الحصر. ويتأثر المسيحيون في أرجاء الإقليم من المحيط إلى الخليج، بمثابتهم الأقلية الدينية المهمة والمعيرة في خضم هذه المنطقة المسلمة بسواها الأعظم، تأثراً شديداً بالتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية خلال العقد المنصرم. ويستحق مصيرهم الاهتمام لصالح مستقبل الإقليم برمته. وليس السبب حصراً لكون الدين المسيحي ولد في المشرق، وكان عبر ألفين من السنين حجر الزاوية لنسيج المنطقة الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والروحي.

فهرس المحتويات

تمهيد المحرّر	4
1 كلمة الترحيب والاستهلال الأولى	7
2 كلمة الترحيب والاستهلال الثانية	11
المسيحية شرق الأوسطية في عهد التحول	11
3 جلسة النقاش الأولى الافتتاحية	16
خمس سنوات على الانتفاضات العربية: تقييم حاصل وضع المسيحيين والكنائس المسيحية في المنطقة	16
4 جلسة النقاش الثانية:	22
مشرق متعدد الأديان: العلاقات بين اليهود والمسيحيين والمسلمين وأثر الاضطراب المحلي والإقليمي على التعايش المجتمعي	22
5 جلسة النقاش الثالثة:	28
مسيحية متعددة المذاهب: الحوار والعلاقات بين الكنائس المسيحية في البلدان العربية	28
6 جلسة النقاش الرابعة الختامية:	34
المسيحية بين الشرق والغرب: الانعكاسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية	34
الملحق:	39
كلمة العشاء الرئيسة	43
جدول أعمال المؤتمر	43

شتيفان شتيتير وميترا موسى نابو (المحرران)
المسيحية في الشرق الأوسط:
ملاقة التحولات المجتمعية
المحلية والإقليمية والعالمية
وثائق مؤتمر دولي
روما، 24-26 شباط/فبراير 2016

بون، 2017

ISBN: 978-3-940137-80-7

التعريب من الإنكليزية:
غريغوار سليم بالي

تصميم الغلاف:

© poosan – Fotolia.com

الناشر:

فريق البحوث في شؤون الكنيسة الدولية التابع لأمانة سر مؤتمر الأساقفة الألمان

يطلب من:

فريق البحوث في شؤون الكنيسة الدولية التابع لأمانة سر مؤتمر الأساقفة الألمان

Sekretariat der Deutschen Bischofskonferenz
Bereich Weltkirche und Migration
Kaiserstraße 161
53113 Bonn
Tel. 0228/103-288, Fax 0228/103-335
E-Mail: wissenschaftliche-arbeitsgruppe@dbk.de
E-Mail: dbk@azn.de

المشاريع - الجزء 26

شتيفان شتيتير وميترا موسى نابو (المحرران)

**المسيحية في الشرق الأوسط:
ملاقاة التحولات المجتمعية
المحلية والإقليمية والعالمية**

وثائق مؤتمر دولي
روما، 24-26 شباط/فبراير 2016